موتٌ قبل الميلاد

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
الشهري، نادية ظافر
سلسلة عوالم موت قبل الميلاد وقصص أخرى
القصص القصيرة العربية - السعودية
رقم الإيداع: ٨١٣٤- ١٤٣٠
ردمك: ٦- ٣٩٣٢- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

الناشر: دار بنت الزيات "مصر"
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / ٤٩٣٥١

موت قبل الميلاد:رواية ط ٢
الكاتب: نادية ظافر محمد الشهري
إخراج فنيّ: الباشا عبدالباسط

رقم الإيداع: ٢٢٤٠٩/ 2017
الترقيم الدولي:6 - 99 - 6582 - 977 - 987

دار بنت الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page
E- mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

حقوق الطبع والنشر محفوظة للكاتب

روايات عوالم

عوالم الرعب بين يديك

مَوْتٌ قَبْلَ المِيلاد

رواية

نادية الشهري

إهداء

إلى أرض مصر

وأُدبائها.

وإليكم أنتم قرائي الأعزاء...

أهدي هذا الكتاب.....

أ.نادية

مقدمة السلسلة

العالم حولنا مليء بالأحداث والغرائب..

والأحاسيس والمشاعر..

ولكي نميط اللثام عما يحدث حولنا..

نقرأ روايات عوالم...

لنغوص في بحر من الغرائب، والأحاسيس والأمور الغامضة المثيرة..

ثم نسير بخطوات مرتجفة لنسبر أعماق كهف مظلم مخيف، أو نزور قلاعاً مهيبة، فنرى الأطياف والخيالات التي ستلاحقنا وترعب قلوبنا في عالم الرعب المهيب، بكل عوالمه المخيفة والغامضة، فنسعى لفك طلاسمه وكشف أسراره..

كل ذلك وأكثر في كتاب واحد..

ندخل فيه من عالم إلى عالم آخر..

من عالم الأمان إلى عالم الرعب..

فروايات عوالم..

عوالم الرعب بين يديك.

* * *

الفصل الأول

"الرؤيا"

عزيزتي (خلود) كيف حالك؟. لا تتصورين مدى اشتياقي لك ولأيامنا الحلوة... ماذا ألم تتوقعين هذا؟.. أعرف بأني انقطعت عن مراسلتك مدة طويلة أظنها سنتين أو ربما أكثر بصراحة لا أذكر بالضبط.. أرجو أن تغفري لي إهمالي، فأنا بعد زواجي بـ(سامر) بسنة واحدة، التحق بالعمل لدى الملحقية الثقافية التابعة للسعودية في مصر، فأصبحت مشغولة جداً في عالمي الجديد.. حتى عائلتي الحبيبة والتي تعرفين جميع أفرادها لم أعد أستطيع رؤيتهم إلا مرة واحدة في السنة...

آآآه لكم تغيرت حياتي بطريقة لن تتخيليها أبداً, فلم أعد تلك الفتاة المرحة المتفائلة بالحياة كما عهدتني وأحببتني, لهذا أن أكتب لك... لا تظني أنني لست مشتاقة لك بل العكس.. ولكني الآن في أمس الحاجة لشخص يسمعني ويحتويني من خارج أسرتي وأنت أكثر من أثق به..

عزيزتي أريد أن أنفض عن نفسي غبار أيام قلبت حياتي رأساً على عقب، وجعلت الشيب يغزو الفودين وناصية شعري، وأنا لا أزال في السابعة والعشرين من العمر، ماذا هل ذهلت؟. ولكنها الحقيقة فشعري البندقي

الطويل الذي لطالما أحببته أصبح مخصل بخيوط من الثلج، فالأحداث التي مررت بها أخذت صنارتها وغزلت ناصية شعري بالصوف الأبيض... لا تخافي لازلت جميلة كما عهدتني، بعيني الرماديتان التي طالما أعجبتك.. إلا أنني عرفت أن الحياة ليست فقط ما نراه منها بل إن فيها من الأسرار ما يذهل العقل ويرعب الروح.. لذا يجب أن أتكلم وإلا جننت وعليك أن تصدقيني فما سأخبرك به أمور يأبى العقل تصديقها لذا لم أخبر أحد- ماعدا أختاي وزوجي- إلا أنت، لأني أعرف مدى ثقتك الكبيرة بي وبمصداقيتي...

والآن يا صديقتي الغالية حضري نفسك لقراءة قصتي العجيبة ولكن احذري الأماكن المظلمة واذهبي إلى مكان دافئ وحميم فبين يديك يكمن رعب حقيقي.. والآن هل أنت جاهزة.. إليك قصتي:

كانت ليلة حارة، وكنت أشعر بالإرهاق، فأويت مع زوجي إلى الفراش باكراً وكذلك فعل صغيري (يوسف) وبعد أن غطيت في نوم عميق، وجدت نفسي داخل منزل غريب أسير فيه لوحدي والظلام يملا المكان.. نظرت بعمق لكي أسبر أعماق الظلام فوجدت باب موارب، تقدمت للأمام بخطوات خائفة ودفعت بيدي الباب والذي أصدر صريراً جعل القشعريرة تغزو عظامي، ودخلت أخيراً لأري غرفة صغيرة... الحمد لله كانت مضاءة، وعندما نظرت لجدرانها وجدت أنها مغطاة بالطوب الأحمر الذي يستخدم في البناء.. وفجأة دخلت علي امرأة طويلة القامة عريضة المنكبين.. يا إلهي لقد عرفتها إنها زوجة عمي الثانية والدة زوجي والذي لم تنجب غيره - رحمهما الله جميعا-

اتجهت عمتي (صفية) إلى الجدار المقابل وخلعت منه طوبة كاملة، ثم نظرت إلي وقالت:

- هنا يوجد ألف وخمسمائة..

لم أفهم ما تعنيه إلا أني رأيت في مخيلتي أرض حديقة بيت عمي رحمه الله.. ثم اختفت صورة الحديقة ورأيت عمتي أمامي من جديد وعيناها الثاقبتين تنظر في عيني مباشرةً قائلة:

- لا تنسي..

قالتها وهمت بالرحيل.. أخذت أصرخ حتى تسمعني - لأنها بدأت تبتعد وتبتعد- ألف وخمسمائة ماذا متر أم ريال أم ماذا؟. إلا أنها اختفت وصدى صوتها يردد:

- لا تنسي....

وفجأة بدأ ذهني يستفيق حتى استطعت أن أرى معالم غرفتي وشمس الصباح تتسلل من بين الستائر في خجل لتضيء الغرفة بضوء شاحب.. هنا فقط تنهدت في ارتياح قائلةً:

- كان مجرد حلم..

كنت طوال اليوم أفكر فيما قالته لي عمتي ولكني لم أصل إلى حل، مما اضطرني إلى أن أخبر زوجي (سامر) بالرؤيا.. وعندما انتهيت من سرد حلمي تنهد ونظر نحوي قائلاً:

- إنه حقاً حلم غريب.. ولو لم تكن أمي متوفاة لقلت أن حلمك مجد أضغاث أحلام، ولكن رؤيا الميت حقٌ ويكمن ورائها رسالة ما..

قلت له:

- ماذا لو كانت تقصد بألف وخمسمائة إرثها، كأن يكون نصيبك مادياً من تثمين بيت والدك رحمه الله.. فأنت ابنها الوحيد..

أخذ يهز رأسه رافضاً كلامي وقال معقباً:

- مستحيل.. فأنا قد حصلت على إرثي من ناحية أمي.. وأبي أيضاً.. لذا من المستحيل أنها تقصد حق ابنها في الإرث..

قلت له مفسرة:

- ربما لم تحصل عليه كاملاً..

رد علي مستنكراً:

- لا.. لا.. مستحيل فالرقم الذي قالته لك قليل جداً إن كان القصد منه المال، فأنا ورثت أضعاف أضعافه...

تنهد قائلاً وذاكرته تسبح للوراء:

- كانت تحب والدي كثيراً.. أكثر من زوجها الأول والذي مات قبل زواجها بوالدي... ولقد تعبت كثيراً بعد وفاته وأصابتها أمراض عدة، حتى أنها كادت أن تقتل نفسها وذلك عندما زارت أخيها، ولكن الله أرسل من رآها وأنقذها حتى وصل بها الحال إلى الوفاة في مشفى بـ(جده) وكان عزائي الوحيد حينها أنني كنت معها في لحظاتها الأخيرة..

قلت له وأنا أشعر بالحزن لذكراها:

- نعم نعم.. أذكر ذلك جيداً .. فقد حدث ذلك بعد زواجك بي بعام وشهر.. لازلت أذكرها.. كانت امرأة طيبة جداً (رحمها الله)...

وهكذا أنهينا النقاش دون الوصول إلى تفسير الرؤيا حتى كان ذلك اليوم...

رن جرس هاتفي الخلوي فأسرعت للرد وعندما نظرت لشاشته فإذ به رقم أختي إيناس.. أجبتها بسرعة والدنيا لا تسعني من الفرحة، فسمعت صوتها يقول:

- (نوار) كيف حالك يا عزيزتي؟.

- أوه يا عزيزتي بألف خير.. وأنت؟..

- بألف.. ألف خير.. جميعنا مشتاقين و الفرحة لاتسعنا..

- آووه... أنا أيضاً سعيدة لأنني سمعت صوتك...

ضحكت وقالت:

- قالت الفرحة لا تسعنا، وليست لا تسعني.. هناك صيغة جمع إن كنت لم تلاحظي..

انتبهت لقولها فقلت متعجبة:

- أووووه..يا إلهي.. ومالذي يجعل الفرحة لا تسعكم؟!..

هنا تغيرت لهجتها وأخذت تكلمني بلؤم، ظناً منها أني أعرف ولكني أدعي الجهل:

- حقاً لا تعرفين..

زفرت وقلت:

- لا تتذاكي أنا حقاً لا أعرف عما تتحدثي..

حمل صوتها الدهشة إلي عندما قالت:

- ماذا؟.. ألم يخبرك(سامر)؟..

- لم يخبرني ماذا؟.

- آووه لا... يبدو أنني أفسدت أمرا..

- لم تفسدي شيء، أظن أنه كان مشغولاً جداً في الآونة الأخيرة فلم تتسنى له الفرصة لإخباري، لذا تكلمي ولا تخشي شيئا...

قالت لي بعد تردد:

- حسناً إذا كان الأمر هكذا فسأخبرك.. على أن تدعي الجهل حين يخبرك...

قالت لها في صبر:

- أمرك والآن هاتي ما عندك..

أخذت نفساً عميقاً وقالت:

- هذا الصيف سيختلف عن كل صيف لأنك ستقضينه معنا.. و سنذهب في رحلة تعيد لنا ذكريات كثيرة... إن كنت ذكية كفاية ستعرفين ما أقصد..

سكت برهة أخذ قلبي فيها ينبض بسرعة.. فهذه السنة لم يتسنى لي فيها رؤية عائلتي لانشغال (سامر) أما الآن فسأراهم وأين؟.. حاولت أن أخمن وفجأة برق بارق في ذهني، جعلني أقول في تردد غير مصدقة لما سأقول:

- يا إلهي معقول... هل تقصدين بأننا سنذهب إلي قريتنا الحبيبة؟..

هتفت (إيناس) قائلة:

- صح... يالك من عبقرية لقد عرفتي..

أخذت أنفاسي تعلو وتهبط من شدة الإثارة:

- آآآه يا عزيزتي من يصدق بعد كل هذه السنين سنذهب إلى هناك.. هل أنت متأكدة؟.. ومن أين لك هذه المعلومة؟..

- (عابد) أخبرني بذلك.. ولقد أخبرني أيضاً بأنه وزوجك خططا لذلك معاً..

- أنا سعيدة جداً وبالطبع عائلتنا ذاهبة ككل سنة.. ولكن هل أنتي متأكدة بأننا سنذهب؟. أم أنها لازالت مجرد فكرة؟.

- بالتأكيد.. وإلا ما كنت اتصلت بك من وراء البحر الأحمر..

ضحكت على تعليقها.. هنا سمعت باب المنزل يفتح، فعرفت بأن (سامر) قد عاد من العمل وكنت نسيت في غمرت فرحتي أن هذا وقت عودته، لذا قلت لأختي بسرعة:

- (سامر) عاد يجب أن أنهي المكالمة...

- لا تنسي أن تتفاجئي..

- اتفقنا..

أغلقت هاتفي المحمول وهرعت لاستقبال زوجي الحبيب وقلبي يكاد يطير من شدة الفرح.. ستكون هذه الإجازة الصيفية مميزة...

وبالفعل لقد كانت تلك الصيفية تختلف عن كل صيف.. تماماً كما قالت (إيناس)...

* * *

كان يوماً رائعاً تختال فيه مصر بأشعة الشمس الذهبية الدافئة.. كنت أتأبط ذراع (سامر) وأسير معه نحو الطائرة المتجهة لـ(جده).. كانت قدماي لا تكادان تلمسان الأرض من شدة نشوتي...أخيراً بعد ساعتين سأرتمي في أحضان أمي وأرى عائلتي الحبيبة..

وصلنا إلى مطار الملك عبد العزيز بجدة.. وعندما وضعت قدمي على أرضها كادت الدموع أن تخرج من مقلتي..

وبعد٣٠دقيقة أصبحت في أحضان عائلتي الحبيبة.. أظنك لازلت تذكرين (إيناس) بوجهها الطفولي الجميل وعيناها البنيتان الدافئتان وشعرها الكستنائي والذي قصته حتى أصبح يوازي ذقنها، تذكرين أنها تزوجت بـ(عابد) - أخو زوجي غير الشقيق- منذ سنين طويلة, أما (هلا) - والتي تصغرني بسنتين- فهي كما عهدتها، تختلف عنا بملامحها الحادة الجذابة والسواد هو لون عينيها وشعرها الطويل، كانت الوحيدة التي تشبه والدي.. أذكرك بذلك لتستطيعي تخيلهما مع الأحداث...

أمضينا في جدة أسبوعين قضيناها مابين زيارات للأهل والأقارب والتسوق، إلى التمتع بأشهى المأكولات في مطاعمها الراقية، والمتعة الحقيقية تكمن في الجلوس على شاطئ البحر الأحمر، وفي منتزهاتها الجميلة، ومدن الألعاب.. وبعد ذلك اتجهنا إلى قريتنا يوم الجمعة ظهراً أنا وزوجي وطفلي وخادمتي في

سيارة هوندا مستأجرة، و(إيناس) مع عائلتها في سيارة أخرى، ووالدي ووالدتي و (هلا) في سيارتهم..

انطلقنا في رحلتنا مروراً بمكة قبلة المسلمين ثم الطائف ورد الهدا، ثم سلسلة من المدن الجميلة.. وعند ساعات الغسق وصلنا أخيرا إلى مدينة (الباحة) الخضراء و فيها قريتنا ومسقط رأسنا والتي لم أرها منذ ثلاث سنين...

كنت أقف مع الجميع عند واجهة المنزل ويدي تلوح لأبي وهو يتجه بالأهل إلى منزله على أعلى التل المجاور والذي يبعد عن بيت عمي ستون متراً فقط، وبعد أن تواروا عن الأنظار وجهت نظري صوب منزل عمي - شقيق والدي ووالد زوجي في الوقت نفسه - والذي أصبح بعد وفاته منزل زوجي وأخوته، ولكن لا أحد يسكن فيه سوى (سامر) و(عابد) في الإجازات، لأن أختيهما (جميلة) و(ليلى) تعيشان كل منهما في منزل زوجها.. كان المنزل جميلٌ جداً عبارة عن فيلا بطابق واحد وعلية فوقه، بالإضافة لحديقة خلفية جميلة، يتسلق أسوارها النباتات وقمم الأشجار الخلابة...

وأنا غارقة في تأملاتي انتبهت إلى أن الجميع اتجهوا إلى بوابة المنزل فأسرعت بالنزول من السيارة ولحقت بهم...

فتح (عابد) الباب فسمعنا جميعا صوت صريره.. وعندما دخلنا كانت رائحة البهو خانقة والظلام شديد جداً.. شعرت بقشعريرة مفاجئة تغزو

عظامي، لم تكن هذه مشاعري عندما دخلت البيت أول مرة عند وفاة عمي.. شعرت بخوف مفاجئ.. ثم رمشت عيني من قوة الضوء الذي جهرها وصوت (سامر) يقول:

- أضأت النور.. لا داعي للخوف الذي أصابكم..

ضحك ابن (إيناس) البكر (إلياس) وقال:

- وكيف عرفتَ يا عم بأنني خائف؟!.

نظر(سامر) بلؤم إليه وقال:

- ألم تكن كذلك؟.

ثم ضحك واستطرد قائلاً:

- بصراحة أنا كنت كذلك...

نظرت إلى الجميع بدهشة وقلت:

- لقد كان هذا حالي أيضاً.. فهل هو حال الجميع؟!..

ضحكوا جميعاً بتوتر.. ثم قالت (إيناس):

- كل هذا الحديث في بهو المنزل.. دعونا ندخل ألستم متعبين من السفر؟..

أيد الجميع قولها ثم دخلنا.. كان البيت قذر جداً والغبار يغطي كل شيء بطبقة سميكة، فأصبت بإحباط شديد وقلت:

- كيف ننظف هذه القاذورات بعد عناء سفر طويل؟.. أكاد أسقط من شدة التعب..

ضحكت (إيناس) وكانت تكبرني بـ١٠ سنوات وقالت:

- سنتعاون مع الخدم حتى نستطيع إنجاز الكثير والباقي في الأيام القادمة..

وهكذا أخذنا جميعاً بعمليات التنظيف والترتيب حتى انتصف الليل، فأعلنت أجسادنا رغبتها في الراحة.. فاتجهنا إلى غرفنا لنغط في نوم عميق..

قضينا الأسبوع الأول من إقامتنا في ترتيب البيت، وشراء ما نحتاجه، بالإضافة إلى استقبال الزوار اللذين جاؤوا ليرحبوا بنا.. وهكذا انقضى أسبوع كامل بسرعة، ثم جاء الأسبوع الأخير بالنسبة لأزواجنا وكان أسبوعاً رائعاً بحق، ذهبنا فيه إلى نزهات ورحلات عديدة، فقد كانت مدينتنا تحوي بين جناحيها أجمل القرى الخضراء، وجبال عالية تنتشر عليها الحشائش والأشجار، والأنعام تنتثر في كل مكان تقريباً، وأجمل ما فيها جوها المعتدل الممطر صيفاً والبارد جداً شتاءً، وبما أننا كنا في فصل الصيف فقد استمتعاً حقاً بجوها الخلاب..

كنت دائماً مع أختاي نستمتع عصر كل يوم بالجلوس في حديقة منزلنا الخلفية، والتي منها نستطيع أن نرى منزل أبي المنيف علينا من التل المجاور لبيتنا.. وهكذا كنت أتمتع بلحظات رائعة مع عائلتي الحبيبة.. حتى جاء يوم الخميس والذي سيسافر فيه كلً من (سامر) و(عابد) ليباشروا أعمالهم...

كان الحزن يعتصر قلبي بقبضة باردة فسفر (سامر) إلى مصر وبقائي هنا لأتمتع بصحبة عائلتي فترة كافيه، يؤلمني بقدرما يسعدني بقائي جوارهم.. نظرإلى عيناي نظرة متفحصة حنون فرأى ما تعكسه من ألم يمزق صاحبته

من الأعماق، فأمسك وجهي براحتيه وعيناه تعكس آلام الدنيا كلها قائلاً بصوت أبح:

- أنا أيضاً لا أطيق فراقك و فراق ابننا الصغير، وكم أتمنى لو تغيري رأيك وتعودي معي.. إلا أنني واثق بأنك لن تفعلي فالإجازة طويلة ورغبتك في البقاء قوية.. لذا أرجوك لا تصعبي الموقف علي أكثر، ودعي الابتسامة على شفتيك الجميلتين، حتى تكون أخر ما أذكره منك.. وبعد شهر ستعودين لأحضاني يا زوجتي الحبيبة...

خنقتني العبرة فلم تقوى عيناي على احتمالها فذرفتها لتتساقط على خدي، هنا أخذ (سامر) يهدئ من روعي بكلماته الحلوة، والمرارة تنطق من عينيه.. وبعد برهة كان قد أعطاني المال الذي أحتاجه في فترة بقائي وكذلك فعل(عابد) مع أختي.. ثم ودعونا بعد أن أوصونا على كل شيء، خصوصاً على أولادنا.. ثم رحلوا وتركوا فراغاً كبيراً في صدور الجميع..

مضى يوماً سريعاً كغيره من الأيام، و بعد أن تجرعت مرارة الفراق اتجهت إلى فراشي لأنام وكذلك فعل الجميع.. وإذ بي في منامي أجد نفسي داخل منزلنا أو بالأحرى منزل عمي (رحمه الله) اتجهت بدون سبب نحو غرفة (إيناس) والتي كانت غرفة عمي في الماضي، وبعد أن دخلت الغرفة وأغلقت الباب خلفي، فتح الباب فجأة فنظرت ورائي صوب الباب، هنا وجدت عمتي (صفيه) كما عهدتها طويلة عريضة المنكبين وترتدي السواد.. تعجبت من

المنظر الذي خلفها فلم تكن تفاصيل البيت ظاهره بل سواد حالك يغلف كل شيء، وكأن ما ورائها هو العالم الأخر، نظرت إلي متفحصة وأشارت تجاه أعلى الخزانة وقالت لي بصوت عميق:

- إنه في الصندوق.. لا تنسي...

نظرت حيث أشارت وقلت لها بدهشة:

- صندوق ماذا؟!

وكما فعلت في الحلم السابق، أدارت لي ظهرها.. وقالت وصوتها يخفت ويخفت:

- لا تنسي..لا تنسي.. لا تنسي...

استيقظت من النوم وأنا غارقة في العرق نظرت إلى تفاصيل غرفتي ثم أخذت نفساً عميقاً وقلت محدثةً نفسي:

- حمدا لله كان حلماً.. ماذا تريد مني هذه المرأة؟!.. أووووف...

حاولت بعد ذلك النوم جاهدة، ولكنه جافى عيني.. فنهضت من فراشي وذهبت إلى المطبخ لأشرب كوب ماء، وهنا أخذت أتذكر الرؤيا القديمة والجديدة.. ثم أخذت أتساءل كيف نسيت كل هذا؟.. لماذا لم أبحث عن الطوبة؟. حينها قررت أنه في الغد سأبحث عن تلك الطوبة في جميع أرجاء المنزل.. ووقتها سأعرف.. ماذا كانت تعني تلك المرأة؟..

* * *

كان يوم الجمعة يوماً ماطراً والجو فيه يخلب الأنفاس، برائحة الأعشاب والأشجار، والتربة التي اختلطت رائحتها بالمطر.. خرجت إلى الحديقة الخلفية لاستنشق وأملي صدري برائحته المنعشة، هنا وقعت عيناي على حديقة صغيره جداً، كانت أصغر حديقة من بين كل الحدائق التي تزينها أشجار (الدراق) و(التين) و(التفاح) بالإضافة إلى كرم العنب الذي يأخذ نصف المساحة تقريباً، ولكن هذه الحديقة الوحيدة المقفرة والتي تخلوا حتى من الأعشاب الصغيرة، وكانت بعيده عن باقي الأشجار إذ توجد بجانب غرفه صغيره قد بناها عمي مع دورة مياه لتكون غرفة للسائق..

ولكن عمي قد مات والسائق رحل وبقيت مهجورة منذ سنين، ولم يعد يسكنها سوى الحاجيات القديمة من أثاث وغيره.. يا إلهي كيف لم انتبه إليها من قبل؟..

نزلت من الدرجات القليلة حتى أصبحت في مواجهة الحديقة المقفرة، والتي كانت تعلوا الأرض بنصف متر.. كان واضحاً أن عمي قد بناها ثم وضع فيها كميات وافرة من التراب والبذور ولكنها لم تثمر.. وهنا استرعى انتباهي لون (الطوب) المستخدم، كان أحمر اللون تماماً كما في حلمي، إلا أنه في حلمي كان كالغرفة الكاملة، أما هنا فهوا لا يتعدى حوض ارتفاعه نصف متر وعرضه خمسة أمتار ممتلئ بالتراب ليكون عبارة عن حديقة مقفرة جرداء..

أخذت أجول ببصري في أنحاء الحوض كله لأرى أن أربعة أمتار منه فقط مغطاة بالتراب، أما متر كامل منه فكان مقفل بنفس الطوب.. نظرت إليه بدهشة وحدثت نفسي بصوت عالي قائلة:

- يا إلهي.. كيف يعقل هذا؟!. ما الذي يجعل عمي يبني فوق تربة الحوض المخصصة للزراعة؟!.

كان واضحاً جداً أن العمل غير متقن مما يدل على عجلة في صنعة.. هنا أخذت أفكر، يبدو أن عمي أراد أن يغلق الحوض؟. ولكن لماذا يا ترى؟..

شعرت برغبة كبيرة تدفعني دفعاً لرفع كل هذا الطوب واكتشف ما تحته، ثم خطرت على بالي فكره مضحكه هل سأجد كنزاً مكون من١٥٠٠قطعة ذهبية كما قالت عمتي في المنام:

- هنا ألف وخمس مائه.. لا تنسي..

دب في جسدي النشاط والحماس فجأة، فأخذت أبحث عن (الرفش) وقد كان موجوداً بجوار كرم العنب.. أخذته وألقيت نظرة من النافذة الخلفية للبيت والتي تطل على الصالة، لأتأكد من أن لا ينتبه إلي أحد فأثير التساؤلات، وعندما تأكدت أن الكل لديه ما يشغله.. انطلقت إلى الحوض المقفر، وصعدت فوقه ونظرت إلى الطوب الأحمر المرصوص، وقد أخذت القشعريرة تغزوا جسدي، وقلبي ينبض بشده..

أخذت نفساً عميقاً ووضعت يدي على قلبي وتنهدت لأخرج كل التوتر من صدري.. وأصبحت أحدث نفسي بصوت عالي قائلة:

- ما بالك يا فتاه؟. لماذا كل هذا التوتر؟. إنه لأمر مثير.. اعتبريه مغامرة استكشاف ليس إلا...

نفضت جسدي لأنفض عنه القلق، وبعد ذلك شرعت في مهمتي.. لم أجد أي صعوبة تذكر، فلم يكن الطوب ملتصقاً ببعضه البعض، إنما كان موضوعاً كما هو فوق التراب.. رميت (الرفش) من يدي فلم يكن له أي داعي، وأخذت أحمل كل طوبه بيدي الأولى ثم الثانية والثالثة والرابعة لم أرى أي شيء يثير الشك هنا خطر على بالي أن أحفر التراب الذي كان تحتها، ولكني انتهيت فجأة إلا أن هناك طوبتان لم أبعدهما بعد.. هنا ضربت جبهتي براحة يدي وقلت لنفسي:

- يا غبية.. لا زال هناك بعض الطوب...

وهكذا شمرت عن ساعدي وحملت الطوبة الأولى ثم حملت الطوبة الثانية.. هنا شعرت بمن يعتصر قلبي بقبضة باردة، شهقت ثم أخذت أبسمل وأملئ رئتي بالهواء المنعش حتى ترتاح نفسي.. نظرت أسفل الطوبة بعد أن رفعتها لأجد التراب أسفلها مبعثر ليس كباقي التربة، بل إنه يبدو واضحاً للعيان أنه تعرض لعملية حفر وقد دفن شيء ما بداخله.. ابتسمت ابتسامة نصر وهتفت قائلة:

- أخيراً.. سأجد تفسير الرؤيا...

وهكذا أخذت أحفر بأظافري.. ناسية أمر(الرفش)الملقي بجواري.. فالفضول والحماس كانا المحركان لكل أعضاء جسدي.. ولم يتعدى حفري الشبر الواحد حتى وجدت ورق بني اللون.. فحفرت التراب أكثر لأرى رزمة ورق بني قد لفت على شيء ما بداخلها، عادت نبضات قلبي تدق بشدة والعرق يتصبب على جبيني.. لم أدري ماذا أصابني؟!. مددت يداي المرتجفتان إلى رزمة الورق تلك وعندما أمسكت بها، شعرت بالاشمئزاز فجأة.. فتحتها فهال عيناي ما رأيته.. فأمامي مباشر كنت أرى يد.. نعم يد.. لا تستغربي يا عزيزتي(خلود) فهذه هي الحقيقة.. كانت أبشع يد رأيتها في حياتي، فلونها رمادي ضاربُ إلى الزرقة، وعروقها بارزة و واضحة جدا ٍجداً.. وكأنها أوتارُ خشبية لشدة تيبسها.. وما أدهشني أكثر تلك الخواتم المرصعة بالجواهر الموجودة في الأصابع الخمس كلها...

كنت أنظر في اليد الموضوعة على رزمة الورق، والتي قد وضعتها على الأرض قبل أن أفتحها، كانت الجواهر الخلابة قد سحرت عيناي، فكانت نظراتي تغوص داخل تلك الجواهر وكأنني سأذهب إلى عالم سحري رائع.. ما أروعها فالجوهرة الموجودة في الإبهام (فيروزية اللون) والسبابة (زمرد أخضر) و الوسطى كانت أروعها جميعا (قرمزية اللون كدم الغزال) أما البنصر فكانت(ماسة بيضاء) صافية اللون، والخنصر(لؤلؤة سوداء) كالليل البهيم.. وأنا في غمرة تأملاتي غاصت عيناي رغماً عنها في الإصبع الأوسط،

لتذوب في الجوهرة القرمزية الرائعة.. لم أكن في وعيي صدقيني يا(خلود) كنت أتصرف وكأنني لا أنتمي لعالمنا..

وفجأة برقت تلك الجوهرة ببريق قرمزي قوي جهر عيناي وأعادني إلى وعيي.. لأصرخ في رعب شديد وأقفز من مكاني وأهرب إلى داخل البيت راجية الأمان، والشحوب قد غزا وجهي ليخفي كل قطرة دمٍ في عروقي.. دخلت غرفة نومي لأندس في فراشي وأغطي نفسي من رأسي لأخمص قدمي، وكأنني أختبئ من شر عظيم وأخذت أنتفض وأنتفض حتى غطيت.. لأعرف كيف؟. في نوم عميق...

عندما أفقت من نومي كان الظلام قد غزا غرفتي بأكملها، مما يعني أنني ظللت نائمة حتى حلى المساء.. جلست على سريري وأنا أشعر بتكسر في عظامي، تثاءبت وأخذت أتمطط وأنا أنظر حولي في دهشة.. لماذا لم يوقظني أحد.. هذا غريب؟..

إلا أنني تذكرت الآن أصوات كثيرة دخلت حلمي، نعم كان صوت(إيناس) يوقظني على ما أذكر: - أنهضي يا(نوار)..الم تكتفي من النوم بعد؟..

نعم أذكر هذا.. وأيضا صوت ابنتها المراهقة (هناء) توقظني:

- خالتي.. يا خالتي.. هيا استيقظي أرجوك ضاع يومك في النوم.. ماذا جرى لك؟..

صحيح أذكر هذا.. إذاً فهناك محاولات لإيقاظي ولكني كنت نائمة

كالخرتيت.. وفجأة تجمدت مكاني، تذكرت سبب نومي، لقد كانت تلك اليد البشعة السبب.. بل بالأحرى تلك الجوهرة القرمزية والتي توهجت فجأة.. أخذ جسدي بالارتجاف من جديد ولكن قررت أن لا فائدة من الاختباء.. يجب أن أنهض وأرى تلك اليد العجيبة.. هل هذا ما كانت عمتي تريدني أن أراه؟. سامحها الله..

نهضت من فراشي وأمسكت(هاتفي الخلوي) في يدي لأنظر إلى الوقت، فهو عندي بديل ممتاز عن الساعة, كنت أتوقع أن الوقت هو الثامنة أو السابعة مساءً ولكنني فوجئت بأنها الثالثة بعد منتصف الليل.. شهقت من دهشتي وحدثت نفسي قائلة:

- يا إلهي.. ماذا أصابني؟. هل نمت كل هذا الوقت؟!.

حزمت أمري واتجهت إلى باب غرفتي لأخرج منها.. فتحت الباب فكانت ردهة المنزل الكبيرة مظلمة والجميع قد غط في النوم.. كانت هناك إضاءة خفيفة تأتي من المطبخ.. إضاءة شاحبة جداً إلا إنها تجعل الرؤيا متاحة نوعاً ما...

أخذت في السير تجاه غرفة الأطفال والتي كان ينام فيها طفلي ذو الثلاث أعوام (يوسف)وابنة أخي الصغيرة (جوري) ذات الخمسة أعوام، وأنا أسير شعرت بثقل في صدري.. لماذا تبدو المسافة بعيده؟. وعندما وصلت أخيراً إلى الغرفة وجدتهما نائمان كالملائكة الصغار، قبلت كل واحد منهم على جبينه وانصرفت..

لقد نامت أختي (إيناس)اليوم باكراً.. بالعادة تصلي الفجر ثم تنام، أووف.. يا لحظي السيئ سأقضي الوقت وحدي..

أووه..ما هذه البرودة المفاجأة؟!. تلفت حولي باحثة عن مصدر تيار الهواء فلربما نسي أحدهم النافذة مفتوحة.. أخذت أفتش عن تلك النافذة، ولكن هناك إحساس غريب يلازمني.. أشعر أن المكان كله ثقيل على صدري، وأصوات الرياح القوية صنعت من الظلمة والوحشة لوحة مرعبة.. يا له من إحساس...

- طرااااخ.. طرااااخ..

قفزت فجأة من مكاني وأنا أحدث نفسي بصوت عالي نسبياً:

- يا إلهي ما هذا؟!..

- طرااااخ.. طرااااخ..

- يبدو لي صوت باب العلية ولكن ماذا حدث له؟..

انقبض قلبي وأخذت أتنفس بصعوبة.. ألا يوجد أحد في هذا المنزل يستيقظ من قوة هذا الصوت؟.. تمنيت هذا في داخلي، كانت ساقاي متجمدتان.. وصوت في عقلي يقول لي بأن أذهب لأستطلع الأمر.. ولكن صوت أخر يقول لي بأن لا أذهب فلربما كان لصاً.. وأنت لوحدك.. هذا بالفعل لأمر متهور وسيئ..

لم يعد الصوت في الظهور مرة أخرى ولكن التيار البارد عاد من جديد.. نظرت يساري فإذ بعيني تقع على باب الحديقة الخلفية المفتوحة.. إذاً كان

الهواء البارد قادماً من هذا الباب.. كيف تركته(إيناس) مفتوحاً هكذا؟. ليس هذا من طبعها.. مططت شفتاي في تذمر واتجهت لأغلق الباب.. هنا تذكرت اليد.. ترى هل لازالت مكانها؟.. بالتأكيد هي مكانها.. إلا إذا أخذتها (إيناس) وألقت بها في القمامة.. ولكن هل حدث هذا فعلاً؟. الم يتوهج الخاتم معها كما حدث معي..

نفضت التساؤلات من عقلي واتجهت إلي الباب وعندما هممت بإغلاقه، شعرت بفضول قوي يشدني رغماً عني لأرى تلك اليد.. فخرجت من المنزل، ونزلت من الدرجات القليلة لأصل إلى أرض الحديقة.. وهنا وبجسم مرتعش نظرت صوب الحديقة المقفرة، اتجهت إليها بساقين كعيدان المعكرونة المسلوقة، وقبل أن أصل بقليل شممت رائحة كريهة.. رائحة كالعفن مع رائحة غريبة تبدو لي مثل رائحة الكبريت.. واصلت سيري متجاهلة تلك الرائحة، وعندما وصلت إلى مكان تلك اليد، كادت عيناي تخرج من محجريها..

فما كان أمامي فوق طاقة احتمالي.. لا.. لا أتوقع (إيناس) فعلتها، وإلا كانت أخبرتني ولو بالقوة...

فأمامي مباشرة كانت رزمة الورق البنية خالية.. خالية تماماً..

* * *

الفصل الثاني

"بلا ملامح"

في ظهر يوم السبت اجتمعنا على الغداء الذي أعدته(إيناس) كانت عيناي منتفختان من كثرة النوم والبكاء، والرعب والسهر أيضاً قبل النوم.. جلست معهم على المائدة بعد أن صليت الظهر، كان الجميع ينظر لي في تهكم واضح.. هنا هتف(إلياس):

- خالتي... لقد اشتكى النوم منك..

نظرت إليه نظرة بلهاء وأنا فاغرة فمي..ماذا يعني هذا الفتى؟.

حدق في وجهي ثم هتف قائلاً:

- هيه..هيه..يا خاله.. أين ذهبتي؟. هل هذا من تأثير كثرة النوم؟..

هززت رأسي في أسى وإكتئاب، وأطرقت رأسي تجاه طبقي وتظاهرت بأنني مهتمة جداً بالأكل..

نظر الجميع إلى بعضهم وأثروا الصمت، فقد شعروا بأني لست على ما يرام، وفضلوا عدم الضغط علي..

بعد أن انتهينا من الغداء، أحضرت(الخادمة) الشاي ووضعت الصينية وعليها كوبان أمامي على الطاولة في غرفة الجلوس..نظرت إليها في غباء فقالت لي:

- الشاي يا(مدام)..

انتبهت فجأة لنفسي فهززت رأسي لها فانصرفت.. هنا جاءت(إيناس) وجلست في المقعد المقابل وتناولت كوب الشاي ثم هزت رأسها تجاهي قائلة:

- ألن تشربي؟..

- هاااه.. بلى.. بلى.. سأشرب..

كنت أشعر بنظراتها الفاحصة تحرق وجهي.. ولكنها تكلمت أخيراً وقالت:

- ما بالك؟.. ماذا جرى لك البارحة لتنامي باكراً جداً حتى ظهر اليوم؟..ليس من طبعك هذا التصرف.. ثم لماذا تبدين على غير ما يرام؟..هل حدث مكروه؟.. هل (سامر) أخباره جيدة في(مصر) أم هناك أمر يؤرقك؟.. تكلمي يا فتاة لا تقلقي، فأنا أختك ومن واجبي مساعدتك..

نظرت إليها بعينين خاويتين لا تنظران إلى شيء، وهمست بصوت منخفض وكأنه قادم من بئر سحيق:

- الحديقة الخلفية.. الحديقة..

- ما بالها؟.. لازالت جميلة مثمرة فأختا (عابد) و(سامر) لم تهملاها يوماً.. هل هناك أمر لاحظته على المزروعات؟..

هززت رأسي في رعب أن كلا..

- إذاً ماذا هناك؟.

- الحديقة المقفرة الصغيرة.. تلك الموجودة بجوار الغرفة الخارجية..

حينها لاحظت أختي جسدي وهو يرتجف.. شعرت بالقلق علي فقفزت لتجلس بجانبي، وربتت على كتفي قائلة:

- (نوار) يا عزيزتي ما بالك؟.. لقد أخفتني..

نظرت إلى عينيها مباشرة وقلت بصوت كالفحيح:

- ألم تخرجي إلى الحديقة البارحة؟.

هزت رأسها نافية، وقالت لي:

- لم أجد الوقت الكافي للخروج فقد كنت مشغولة جداً.. وأنت بنومك أحبطتني فلم أجد بي رغبة للخروج إليها..

- والأولاد؟.

- كلا.. لقد ذهبوا عند عمتهم بعد نومك بساعة ثم عادوا الساعة الحادية عشر ليلاً، فحاولت و(هناء) إيقاظك دون جدوى.. ثم أتى فلماً مرعباً رائعاً في

التلفاز شاهدناه جميعنا، ثم ذهبنا إلى فرشنا الساعة الثانية صباحاً.. هذا كل ما حدث.. ولكن لماذا السؤال؟.. لم أفهم بعد..

أصبت بحالة هستيريا وقلت بشكل متلعثم:

- آآآ..اليد.. كيف؟.. هل تمشي؟.. لا.. من أخذها؟.. كيف؟. والخواتم...

أمسكت كتفاي وهزتهما بقوة وهتفت:

- (نوار) آي يد؟.. ماذا حدث؟!.. إهدائي أرجوك..

هنا عدت إلى رشدي فجأة بعد أن هتفت في وجهي.. وأخذت نفساً عميقاً والدموع تسيل من عيني بطريقة لا أريدها..

وأخبرتها بكل شيء منذ أن رأيت الرؤيا وأنا في مصر، إلى أن اختفت تلك اليد الشنيعة..

عندما أنهيت روايتي، كانت الدهشة تنطق من وجه (إيناس) ونظرت إلي في عدم تصديق وقالت:

- يد مبتورة، في حديقة المنزل مرصعة بجواهر تتوهج ثم تختفي.. أي خيال واسع تمتلكين؟!.

هتفت في غضب:

- ليتني لم أقص عليك.. أقسم أن هذا ما حدث.. تعالي معي إلى الحديقة و أنظري بنفسك..

أقرنت قولي بالفعل، فأمسكت يدها بقوة وأخذتها إلى الحديقة المقفرة وأريتها أماكن الطوب المرصوص رصاً فوق تربة الحوض..

ورأت بنفسها رزمة ألأوراق والتي لازالت مكانها.. طبعاً بدون تلك اليد..

ابتسمت(إيناس) بتوتر وقالت:

- آه..أنا لا أرى تلك اليد...

مططت شفتاي في غيظ وقلت لها من بين أسناني:

- هذا لأنها اختفت يا ذكية..

تلفتت حولها وقالت:

- لا تغضبي مني يا(نوار).. ولكن ما تقولين لا يصدقه العقل أبداً..

نظرت لها والشرار يتطاير من عيني وكدت أن أرجمها بكلام يفتت عقلها..

ولكن صوت خادمتها أنقذها من شري وهي تهتف:

- مدام.. مدام (إيناااااس) أجيبي على الهاتف...

نظرت نحوي.. فدفعتها أمامي دفعاً وأنا أقول بغضب:

- جيد.. جيد..هيا اذهبي وأجيبي الهاتف.. فأنا لا أحتاج لتصديقك وعونك...

وبعد أن اختفت عن ناظري شعرت بالاكتئاب، فما حصل لي كان كريهاً حقاً.. ووسط شمس العصر المحببة إلي النفس وقفت كالبلهاء ثم حانت مني التفاتة صوب كرم العنب، هنا رأيت خيال رجل طويل تعلو قامته المترين، أسود من رأسه إلى أخمص قدميه، وكان بدون ملامح.. شهقت حينها غير مصدقة، وأدرت وجهي في الاتجاه ألأخر وأنا أبسمل، وجسدي عادت إليه الانتفاضة التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ منه.. وبعد برهة نظرت بتردد تجاه

كرم العنب فلم أجد شيء.. يا إلهي هل كنت أتخيل ذلك أم أنه حقيقة؟.

أمسكت رأسي بيدي وأنا أشعر بصداع سيفجره.. وإذ بصوت (إيناس) يقول:

- ها قد عدت.. أكملي قصة يدك تلك..

التقت عيناها بعيني فقرأت فيهما الرعب وعدم التصديق.. فقالت لي:

- (نوار) هيا بنا إلى الداخل وإنسي ما حصل.. إن كان حصل..

لم تعد أعصابي تحتمل فصرخت فيها بأعلى صوتي:

- اخرسي..أنا لست مجنونة...لو كنت أنت...

سكت فجأة عندما رأيت نظراتها المذعورة، قلت لها:

- ماذا؟.. لأني أصرخ بك.. نعم.. طبيعي أن أفعل فأنت...

ولكنها لم تكن تنظر إلي، هنا نظرت تجاه نظراتها المصوبة نحو غرفة السائق المهجورة، ويا ليتني لم أفعل.. فقد كانت تقف هناك فتاه صغيره سمراء ترتدي ملابس باليه، وفجأة ابتسمت ابتسامة صفراء كريهة جعلت قلبينا يقفزان من بين أضلاعنا، ثم اختفت فجأة..

هنا نظرت نحو(إيناس) الشاحبة والرعب ينطق من ملامحي، لنصرخ مذعورتين ونركض نحو المنزل.. وفي غرفة الجلوس قلت لها وهي تنتفض:

- هل صدقتني الآن؟.. هناك أمر غريب يحدث، فقبل ذلك ببرهة رأيت رجلاً أسود اللون كالغراب بلا ملامح يقف جوار كرم العنب.. لم أخبرك حتى لا تنعتيني بالجنون.. والآن هل صدقتني؟.

كانت المسكينة ترتجف، فخفت عليها تقدمت نحوها لأهدئ روعها، ولكنها قبل أن أفعل تكلمت أخيراً لتقول بصوت منخفض مبحوح:

- ما هذا الذي أطلقته من تحت الأرض؟..

لم أفهم ما عنته.. فاستطردت قائلة:

- تلك اليد التي أخرجتها من تحت الأرض..

هتفت بانتصار قائلة:

- آآآها.. الآن صدقتني أخيراً..

أكملت حديثها وكأنها لم تسمعني:

- لقد أطلقت تلك اليد الشر كله في المكان.. ذلك الخاتم المتوهج يبدو أنه سينشر الرعب في هذا البيت.. مالذي فعله فضولك الأحمق؟.. يا غبية يا(نوار)..

هنا فقط استوعبت ما حدث..

كل هذا بسبب تلك اليد المختفية..

شعرت بآلاف الدبابيس تنغز لحمي...

فما قالته كان صحيحاً...

يبدو أنني بفضولي الأحمق...

أطلقت كل الشر...

شرٌ لا أعرف كنهه..

* * *

عندما حل المساء كنا نجلس في غرفة الجلوس ومعنا أختي (هلا)

- طبعاً البقية كانوا يلعبوا ويتسامروا في الردهة حيناً، وفي غرفة نومهم حيناً أخر- كنت قد حكيت لـ(هلا) كل شيء عن تلك اليد المخيفة، وبعد أن انتهيت من روايتي.. نظرت إلينا نظرة حكيم مفكر، كانت(هلا) تتميز بإطلاعها الواسع على علوم ما وراء الطبيعة، لذا خمنت أنها تفكر بالأمر بجدية وبعد فتره تكلمت أخيراً قائلة:

- لا أدري.. بصراحة لم أسمع عن يد تحدث مثل هذه الأمور المخيفة من قبل.. ولكن والحال كذلك أرى أن نجد تلك اليد أولا، لنحرقها ثم نرى ما يحدث بعد ذلك..

قلت لها مستفسرة:

- لماذا نحرقها ولا ندفنها ونعيدها مكانها؟. أليس هذا أفضل؟..

- كلا.. أنا أرى الحرق أفضل وسيلة للقضاء على أي شيء.. ثم إن يدك هذه كانت مدفونة من قبل ولكن عمتك (رحمها الله) نصحتك بالكشف عنها.. لا أعرف لماذا فعلت هذا؟. فهناك سبب بالتأكيد..

اتفقنا جميعاً أن نبحث عنها.. وهكذا انطلقنا كل في اتجاه مختلف لنبحث في جميع أرجاء المنزل، ولكن دون جدوى، فقد عدنا جميعاً بخفي حنين..

اجتمعنا ثانية في غرفة الجلوس فقالت (إيناس):

- ماذا عن العلية نحن لم نفتش فيها؟.

قلت خائفة:

- لا..لا..إلا العلية..

نظرت لي (إيناس) مندهشة وقالت:

- ولم لا؟.. هل ستبتلعك؟.

هززت رأسي مذعورة، وقلت بصوت مرتجف:

- لن تبلعني... ولكني في الساعة الثالثة صباحاً، سمعت صوت بابها يغلق ويفتح بشدة، وبعدها خرجت للحديقة لأجد اليد مختفية.. كلا لن أصعد إليها.. فأنا لا أعرف ما سيواجهنا هناك؟.

قالت (هلا) مطمئنة:

- لا تخافي سنصعد إليها معاً... ثم بالنسبة إلى صوت الباب فربما كانت الريح..

قلت معترضة:

- حقاً.. ومن أين أتت تلك الريح؟. فتيار الهواء الذي شعرت به كان قادماً من باب الحديقة المفتوح ولا يمكن أن يصل هذا الهواء إلى الأعلى..

قالت (إيناس) لتضع حداً للنقاش:

- اسمعوا أنا أكبركم وعليكم بطاعتي.. سنذهب للعلية معاً.. فسواء كان هناك شيء أم لا.. فلا بد من ذلك، حتى ننتهي من هذه القضية في حال وجدنا تلك اليد اللعينة...

وهكذا سرنا معاً واتجهنا صعوداً للأعلى، كانت ساقاي ترتجفان وأظن أن هذا حال البقية.. وهكذا بقلب راجف وصلنا إلى باب العلية والذي كان مغلقاً بقفل كبير على الباب.. هذا المشهد جعل قلبي يسقط بين قدمي.. يا إلهي يا عزيزتي (خلود) تصوري هذا.. كيف إذاً سمعت صوته يغلق ويفتح بقوة..كيف؟!.

تقدمت (إيناس) وأخذت المفتاح المعلق على مسمار في الناحية العلوية بجانب الباب، و أولجته في القفل ثم.. تك تك تلك.. فتح القفل، ثم فتحت الباب.. كان صريره مخيفاً يمزق الأعصاب، حتى أصبح مفتوحاً على مصراعيه.. لا شيء أمامنا سوى ظلمة شديدة ورائحة الغبار تكتم الأنفاس.. إلا أنني ميزت رائحة الكبريت.. ترى أين شممتها قبل الآن؟.. آه تذكرت في الحديقة.. يا ربي الرحيم.. قطع حبل أفكاري صوت (هلا) القائل:

- إنها هادئة كالمقبرة..

ضحكت في سخرية مريرة وقلت:

- المقبرة هادئة من الخارج.. أما من الداخل.. فالعلم عند الله..

رمقتني عيناها بسخرية وقالت:

- لا تحاولي يا عزيزتي.. سندخل يعني سندخل.. هلموا بنا..

قالتها وكانت أول الداخلين.. ثم تبعتها أنا و(إيناس).. كانت الظلمة شديدة جداً ومفتاح الكهرباء ربما كان يبعد متراً عن الباب.. أخذت (إيناس) تبحث بيدها عنه، بينما كنا نحاول سبر أغوار الظلام بأعين لم تتعود عليه بعد.. ولكن شيئاً.. فشيئاً.. بدأت الرؤيا تتضح نعم هذا خيال كرسي وهذا يبدو شماعة.. شماعة بطول مترين بل أكثر من مترين لا يمكن.. لحظة الشماعة تتحرك..

هنا أمسكت يد (هلا) فنظرت إلي فأشرت لها برأسي تجاه الشماعة، وعندما فعلت كانت الأضواء قد غزت المكان بضوئها الشاحب.. أقول الشاحب لأنها كانت ضعيفة نسبياً ولكنها كافية لتجعلنا نرى جميع معالم المكان.. أما الشماعة.. هل حزرتي يا(خلود)؟. لم تكن هناك أي شماعة في أي مكان.. وأنا متأكدة أيضاً إنني لم أكن أتخيل.. لا.. لا أبداً.. لم أكن أتخيل وإلا.. لماذا اختفت رائحة الكبريت بعد اختفاء تلك الشماعة الغريبة؟. لماذا؟!.

كانت كلاً من (إيناس) و(هلا) تبحثان بجدية عن (اليد) ما عداي.. فقد كانت أعصابي منهارة... ما الذي رأيته بالضبط؟.. هل كان ذلك الرجل الأسود بدون الملامح والتي تتعدى قامته المترين؟. نعم.. ربما هو.. ولكن ما هو؟. وماذا يريد؟..

- لا يوجد شيء..

كان هذا صوت إيناس والتي استطردت وقالت:

- يا إلهي.. هذا المكان بحاجه للتنظيف.. ما رأيك يا(نوار)؟..

نظرت إليها بدهشة وقلت:

- وهل هذا وقت التنظيف؟..

- معك حق.. ولكن لم نجد شيء ماذا نفعل الآن؟.

قالت(هلا):

- لا شيء.. لنعد للأسفل.. ونرى ما يستجد من أمور..

وهكذا عدنا أدراجنا وتسامرنا حتى الرابعة فجراً، وبعد ذلك كلاً اتجه إلى فراشة، و(هلا) إلى بيت أبي...

كنت أشعر بوحشة كبيرة في غرفة نومي.. بدت لي واسعة جداً، كأنها فضاء شاسع، ولكن الأسوأ من ذلك، كانت الظلمة الشديدة التي تحيط بي من كل جانب.. شعرت بمدى صغري وكأنني سأسقط في فوهة بئر عميق، وأخذت نبضات قلبي تنبض بشدة وأنا أحاول سبر أغوار الظلام بعيني.. وأخذت أتساءل في رعب، يا ترى ماذا يحدث لنا دائماً عندما نطفئ الأضواء ونذهب للنوم؟. أي مسرحية تحدث داخل غرفنا ونحن لا نراها من شدة الظلمة؟.. بدأ العرق يتصبب على جبيني وأنا أحدث نفسي قائلة:

- هل أنا لوحدي؟. أم أن هناك عشرات الأعين التي تحدق بي وتراقبني؟..

وهنا لم أعد قادرة على الاستمرار في أفكاري السوداء، كاد قلبي حينها يوشك على الانفجار، لذا جلست بسرعة وأخذت يدي تبحث عن مقبس (الأباجورة) القابعة بجوار سريري، وعندما أضأت النور كانت امرأة سمراء تقف بجوار النافذة ترتدي ثياب حمراء خليعة.. هالني ما رأيت، أردت ذكر الله ولكن لساني أصابه الشلل، وأطرافي ثقلت وخلت من أي نقطة دم.. ابتسمت الخبيثة ابتسامة صفراء ثم فتحت فمها و..آ آ آ آ آ آ..

صرخة حادة جداً انطلقت من فمها ثم اختفت، وصدى ضحكة ساخرة يتردد في أرجاء غرفتي..

تيبست مكاني وكأني تمثال، ثم استطعت بعد جهد أن أحرك لساني لألهج بذكر الله سبحانه حتى هدأت نفسي..

أرأيت يا (خلود) أنني كنت محقة في أفكاري السوداء، فنحن في ظلمة الليل داخل غرفنا ننشد الراحة والأمان.. ولكننا نفاجأ بأن هناك من يشاركنا فيها ونحن لا ندري..

طبعاً جافاني النوم فاتجهت إلى(التسريحة) وعندما جلست على كرسيها مددت يدي ببطء شديد وكأن الروح قد انسلت منها.. لم أكن أعرف بماذا أفكر؟. أو ماذا أفعل؟. وعندما وضعت المشط في شعري وأخذت أسرحه، نظرت أخيراً لوجهي في المرآة، كان الشحوب ينطق منه والهالات السوداء تحيط بعيني.. شعرت بالانقباض في صدري، تمنيت لو أطير وأخرج من هذا

البيت وتنتهي هذه القصة الكريهة.. كان وجهي حزين وشاحب ولكن و ياللعجب، كانت صورة انعكاسي في المرآة تبتسم ابتسامة ماكرة.. نظرت بدهشة إلى صورتي ومررت يدي لألمس وجهي الحقيقي لا المنعكس، وعندما نظرت لانعكاسي لم تكن يدي على خدي كما في الواقع، بل كانت صورتي تنظر لي بحقد كبير وتمد يدها إلى عنقها وكأنها تخنق نفسها، ثم اختفت فجأة وظهرت صورتي البلهاء المحدقة في رعب..

وفجأة لمحت ذلك الرجل الأسود الطويل جداً وبلا ملامح في الزاوية اليسرى للمرآة.. شهقت في دهشة ورعب ونظرت خلفي فلم أجده موجوداً.. وعندما نظرت للمرآة من جديد كان لازال واقفاً مكانه..

وهنا لمحت عيناه كان وجهه بلا ملامح ما عدا عيناه المشقوقتان طولياً كالأفعى، خفت كثيراً فنظرت ثانيةً إلى الخلف فلم أجده وفي المرآة كان موجوداً، وهكذا أعدت الكره أكثر من مره.. وعند هذا الحد أدركت أن المرآة تريني مالا يمكن أن أراه بعيني المجردة، فهو بالتأكيد موجود ولكنه لا يرغب أن أراه إلا من خلالها كزيادة في الرعب، مع إنه دائم الظهور أمامي..

صرخت وركضت خارجه من غرفتي، وإذ بي أسمع صوت من يركض ورائي، كاد قلبي أن ينفجر من شدة الرعب وأقدامي تضرب الأرض ضرباً، والنيران تشتعل في ظهري وكأنه يتوقع أن يلمسه ذلك الرجل في أي لحظه.. هنا صرخت في ذعر قائلة:

- يا ربي يا رحيم..

هكذا أخذت أستنجد بملك الملوك.. قائلة من بين صراخي وبصوت عالي:

- يا ربي رحماك.. أعوذ بك منه يا الله...

وصلت أخيراً لباب غرفة (إيناس) وأخذت أطرق الباب كالمجنونة..

- بسرعة.. بسرعة..

سمعت حركت المفتاح في القفل، ثم فتحت الباب لي وقالت بعيون ناعسة:

- بسم الله... ماذا هناك؟..

نظرت إلى الوراء فلم أجد أحد ورائي..

* * *

على سريرها جلست وهي بجانبي تهدئ من روعي.. كانت خائفة جداً مما حكيته لها.. وبصوت مرتجف قالت:

- إن هذه الأشياء المرعبة تظهر كل لحظه.. ونحن لا نعرف كيف نوقفها؟.. ما العمل يا ربي؟..

قلت لها بصوت أكثر ارتجافاً:

- الحل هو كما قال المثل (إذا عرف السبب بطل العجب)..

- ماذا تعنين؟.

أعني أن الحل لن يكون فقط بإيجاد اليد كما قالت (هلا).. بل معرفة ما هي هذه اليد أولاً..

وبصوت جاد جداً قلت لها وأن أحدق في عينيها:

- (إيناس) يد محنطة مرصعة بالجواهر.. تدفن ثم أخرجها فتختفي.. ألا تبدو لكِ القصة غريبة؟..

قالت مفكرة:

- فعلاً ما الذي جاء بها إلى هنا ؟.. ومن الذي دفنها داخل التربة؟.. وماذا كانت تعني عمتي (رحمها الله) بقولها هنا ١٥٠٠ كل هذه الأسئلة تحتاج لأجوبة حتى يحل هذا اللغز..

طأطأت رأسي موافقة على كلامها.. وهنا تذكرت أمراً جعلني أنظر إلى خزانة ثيابها بسرعة لاحظتها (إيناس) فنظرت حيث أنظر متوقعة طفلة ضاحكة بمكر، أو امرأة تنفخ ناراً أو رجلاً بلا ملامح، ولكنها لم ترى سوى خزانتها.. فلتفت إلي وقالت:

- بسم الله... فزعتني ..لماذا تنظرين لخزانتي هكذا؟.

هتفت قائلة:

- نعم.. كيف نسيت هذا؟.. إنها الرؤيا.. رؤيا عمتي الثانية، لقد أشارت إلى أعلى خزانتك قائلة:

- إنه صندوق.. لا تنسي..

نظرت لأعلى خزانتها وقالت متعجبة:

- أي صندوق؟!.. لا يوجد سوى أغراض تخصني..

نظرت نحوها بدهشة، وأصابني إحباط شديد.. فقلت لها:

- ماذا؟.. ولكنها قالت إنه صندوق وأشارت إليه في خزانتك..

- ربما تعني أمراً أخر... أنت تعرفين كيف تكون الرؤى.. ترين رمزاً والتفسير هو ما يوضح لكي معناه..

قلت وكأني قد وجدت الحل:

- إذاً فلأطلب التفسير من شيخ يعبر الرؤى.. هل لديك رقم أحدهم؟..

قالت لي وهي تمط شفتيها:

- بصراحة.. لا أظن الشيخ ستخطر على باله يد وأمور أخرى.. حاولي تفسير الرؤيا بنفسك من خلال ما يستجد في الأيام القادمة..

نظرت صوبها في رعب وقلت:

- وهل ستستجد أمور أخرى.. هل هناك رعباً أكثر مما حصل؟..

قالت مترددة:

- من يدري؟.. العلم وحده عند الله.. ثم قالت متعبة:

- لننام الآن وفي الغد يخلق الله مالا تعلمون..

هززت رأسي موافقة، كنت سأسقط من الإرهاق والتعب، وبما أنني سأنام مع (إيناس) فلن أخشى شيئاً.. ولكني شعرت بالانقباض على ولدي (يوسف) فهو ينام مع جوري في غرفه مجاوره و(هناء) في غرفتها وبالطبع (إلياس) في غرفته.. حدثت (إيناس) بمخاوفي ولكنها طمأنتني بأن ذلك الرجل الأسود لا يريد سواي، والدليل أنها لم تره مثلي إلى حد الآن... طمأنني كلامها حقا، خصوصاً أنها وعدتني بالاطمئنان على ولدي من وقت لأخر.. وهكذا نمت جوارها كالجثة الهامدة حتى جاء يوم جديد...

كان اليوم التالي ممتعاً بحق، ذهبنا في رحلة رائعة وسط المروج الخضراء.. كنت برفقة عائلتي الحبيبة يقودها والدي الحنون.. وبعد أن أكلنا الشواء اللذيذ بدأ الضباب يغلف المكان لتصعب بعد ذلك الرؤيا، هنا هتف والدي:

- يبدو أن رحلتنا انتهت وعلينا حزم المتاع استعداداً للرحيل، فالضباب سيتكاثف أكثر مما سيجعل الرؤيا مستحيلة... هيا بسرعة...

وهكذا قمنا بحزم أمتعتنا وأنا أشعر بزخات المطر المنعشة على وجهي، أخذت نفساً عميقاً لأملئ صدري بهذا الهواء المنعش، ثم تذكرت ابني (يوسف) فشعرت حينها بالقلق عليه خشية أن يضيع وسط الضباب الذي أصبح أكثف من ذي قبل...

هتفت بصوت عالي:

- (يوسف) أين أنت؟.. (يوسووووف)...

ردت علي خادمتي تطمئنني بأنه معها، تنفست الصعداء ثم لبست عباءتي استعداداً للرحيل.. كانت عيناي على ضوء السيارة الشاحب والتي تنتظر أن تؤوينا داخل جناحيها لتعود بنا إلى المنزل.. هنا سمعت صوت تحطم الحشائش بأقدام قادمة من خلفي، التففت لأرى القادم من وسط الضباب والذي توقعته أمي لتطمئن علينا كما هي عادتها، ولكن حين فعلت إصطدم وجهي بوجه امرأة كأنها مصنوعة من النحاس، كان وجهها خالياً من الحياة.. فصرخت بقوة وأنا أدير وجهي عنها وقد أطلقت لساقي العنان لتلهب الأرض

من تحتها.. كان الهواء البارد يضرب وجهي وصوت نبضات قلبي يسك أذناي، كنت ألهث كالمجنونة دون أن أعرف إن كانت تلك المرأة تلحق بي أم أنها ترمقني في سخرية...

هنا لمحت العزيزة (إيناس)... لم أتمالك نفسي من الفرح ففتحت ذراعي وأنا أنطلق نحوها هاتفة في لهفة شديدة:

- آآآه (إيناس)...

رميت نفسي في أحضانها ولكني ولدهشتي سقطت على الأرض وأنا أعبر من خلالها... نعم... من خلالها فلم يكن لها كيان ملموس...بل لم تكن أختي أصلا.. شهقت بقوة عندما سقطت على وجهي ويداي قد أصيبت بوخز مؤلم بسب الشوك المختبئ وسط الحشائش.. تلفت حولي وأنا أرتجف من الرعب والدموع الحارة تتساقط على وجنتاي، وخيال أختي لم يعد له أثر.. أخذت أصرخ في هستيريا وأنا أشعر بأنني قد ضعت في مكان ملئ بالجن والشياطين، قائلة بأعلى صوتي:

- (هلاااااا)... (إيناااااس)... (أمييييي) ساعدونيييييي...

سمعت صوت الحشائش تتأوه تحت أقدام تدوسها قادمة من خلفي مرة أخرى.. انتصبت في جلستي وعيناي تتلفت يميناً ويساراً وعقلي قد توقف عن التفكير، وفجأة لامست يدان كتفاي فصرخت في هلع شديد وأن أسير على ركبتاي لعجز ساقاي على أن تحملاني.. هنا سمعت (هلا) تهتف بي قائلة:

- تعالي يا مجنونة لا تهربي... ما بالك يا حبيبتي؟!..

ركضت لتجثو على ركبتيها بجانبي وهي تهز كتفاي قائلة بقلق شديد:

- حبيبتي هل تعرضت لمكروه؟.. لقد ميزت صرختك التي قادتني إلى مكانك خلال بحثي عنك... ماذا جرى؟!..

أخذت أرتجف وأنا أشعر بالأمان في أحضانها وعندما لاحظت حالي، قالت لي بصوت حنون:

- لا بأس... ستخبرينني بكل شيء عند عودتنا للبيت.. أما الآن سنعود أدراجنا فالجميع ينتظرنا داخل السيارة... هيا حتى لا نتأخر على والدي، فالرؤيا ستصبح صعبة كلما تأخرنا أكثر...

وهكذا ساعدتني للنهوض وأعادتني في طريق لم تخطئ فيه إلى دفء عائلتي...

أوصلنا والدي إلى المنزل وأصرت (هلا) على النزول معنا ثم تلحق بهم وقت ما تشاء، فمنزل والدي يبعد عنا بخطوات فقط...

وهكذا انتهت رحلة رائعة بأحداث مرعبة.

* * *

في حديقة المنزل جلست حول الطاولة المستديرة أتحدث مع (هلا) و(إيناس) بشأن ما حدث معي اليوم في النزهة، بينما كان (يوسف) و (جوري) يلعبان جوارنا في الحديقة، أما البقية فكانوا ينعمون بقيلولة بعد تعب الرحلة...

عندما أنهيت حديثي كانت الكآبة تغطي وجهيهما والعجز واضحاً على ملامحهما.. تكلمت (إيناس) أخيراً قائلة:

- أشعر بالعجز... أنا فعلاً أشعر بالعجز لأول مرة في حياتي.. الرعب يحاصرك، ونحن نقبع هنا نشاهدك، بينما الشيب يعلو ناصيته شعرك...

شهقت حينها لِما سمعت، فلم أكن أعرف هذه الحقيقة أبداً، أخذت أربت على شعري والاضطراب يعتريني وكأن يداي ستجد ملمس الشعر الأشيب يختلف عن باقي الشعر.. هنا هتفت بصوت يقطع القلوب:

- مرآة... أريد مرآة بسرعة...

كنت قدماي قد شلت فلم أقوى على الذهاب لغرفتي لأرى نفسي في المرآة، ولكن (هلا) مدت لي يدها التي تحمل مرآة صغيرة أخرجتها من حقيبة يدها والحزن والشفقة تنطق من ملامحها...

خطفت المرآة من يدها بسرعة، وبعينان مضطربتان ميزت بعض الشعرات البيضاء في مقدمة شعري.. يبدو أن تجربتي في الرحلة مع الأطياف كانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير فبدأ بعدها الشيب يغزو شعري.. أشحت وجهي عن المرآة وأنا أقاوم دموع تتمرد لتخرج رغماً عني، ولكن سيطرت

عليها بإرادة من حديد، فلم أحب مظهر المسكينة البائسة، لذا أخذت نفساً عميقاً وابتسمت من دون بهجة قائلة:

- حمداً لله أنهم اخترعوا صبغات للشعر...

انقلب الموقف فجأة من الكآبة والبؤس إلى ضحكات رنانة غلفت المكان تحت سماء شمسها آيلة للغروب.. وبعد أن أنهى المؤذن نداءه لصلاة المغرب، قامت (إيناس) وقالت:

- سأذهب لأداء الصلاة، ثم أعود بفناجين القهوة التركية العبقة الرائحة، هممم... ما رأيكما بذلك؟.. حتى يتسنى لنا متابعة السمر في هذا الجو الجميل مع رائحة القهوة الزكية...

نهضت (هلا) بدورها وهي تقول:

- يا عيني... جو شاعري رائع.. سأصلي ثم أعود...

نالت الفكرة استحسانا بالغاً مني فأنا بالفعل في حاجة لفنجان من القهوة، إلا أني اعتذرت عن الذهاب معهم للصلاة لوجود عذر شرعي يمنعني من ذلك.. وهكذا بقيت وحدي في الحديقة، بعد أن أدخلن الأطفال إلى الداخل، لكراهية أن يلعبوا خارج المنزل في وقت المغرب كما أوصانا رسول الله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام...

خيم الظلام سريعاً، ولكن العزيزة (إيناس) أضاءت المصباح القابع أعلى الباب المؤدي إلى المنزل قبل ذهابها، مما جعل الضوء ينير الحديقة، ولكن مكان جلوسي بعيد عن الباب مما جعل الضوء يصل إلي بشكل شاحب، أما مكان الأشجار و الورود و كرم العنب فكانت الظلمة تخيم عليها لبعدهم الشديد عن مصدر الإضاءة..

كنت متأكدة أن أختي إذا أتت ستضيء كامل المكان ولكني أفضل الجو بهذه الطريقة فهو أريح للعين وللبال...

مللت من الجلوس فأخذت أتمشى في الحديقة، إلا أني تحاشيت النظر نحو كرم العنب لأنه يذكرني بذلك العملاق الأسود عندما رأيته لأول مرة وهو واقف هناك، لذا جعلت خطواتي تتجه نحو شجر التين الذي شعرت بطعم ثمره في فمي مما جعلني أرغب في أن أتذوقه...

وهكذا سعيت لتحقيق رغبتي، فمددت يدي نحو الأقرب و الأكبر من ثمر التين وعندما شرعت في قطفها شعرت بحركة خفيفة عند أسفل قدمي.. شهقت وأنا أرفع قدمي بسرعة دون أن أعثر على ما يلفت الانتباه... يا إلهي أكره الحشرات والزواحف خصوصاً أنها تكثر في المناطق الريفية.. عدت لأقطف ثمرة التين وعندما فعلت كنت في لهفة شديدة لأضعها في فمي، ولكن أردت غسلها أولاً لذا اتجهت للحمام الموجود بجوار غرفة السائق سابقاً، ولكني قبل أن افعل شعرت بشيء يلتف حول قدمي من جديد،

شهقت و أنا أقفز من مكاني متوقعة أن أرى ثعباناً إلا أن عيناي وقعتا على غصن أخضر ليس إلا.. هززت رأسي متعجبة من ذلك الإحساس الذي خالجني، أكاد أقسم أنه ثعبان، ولكن حمداً لله أنه لم يكن كذلك...

أردت أن أكمل مسيري ولكني شعرت بالحركة من جديد هنا قفزت و أنا أصرخ بملل، فلم أعد أحتمل لعبة الإخفاء تلك، وحينما أخذت عيني تبحثان عن ثعبان ما، فإذ بهما تقعان على نفس الغصن الأخضر الطويل.. هنا و يالدهشتي كان يتحرك...

نعم لقد كان يتحرك كما لو أنه ثعبان.. وبعينان مذهولتان رأيته يلتف حول قدمي، لثواني لم يستوعب عقلي الأمر ولكنه بعد برهة أعطى إشارات لقدميّ بأن تهربان...

هنا أخذت أصرخ وأنا أحاول الهرب إلا أن الغصن ازداد تشبثاً بقدميّ وأخذ يتسلق ساقاي.. حاولت أن أتحرر منه و أنا ألهث من فرط الجهد ولكن دون جدوى... وهنا يا عزيزتي (خلود)...

انطلقت نحوي أغصان النباتات والأشجار من كل صوب لتقتدي بأول غصن أمسك بي، والذي لاحظت قدومه من جهة كرم العنب.. كدت أجن فكل الأغصان جاءت لتساند هذا الغصن اللعين والذي شعرت به حينها يلتف علي خصري.. صرخت باحتجاج وبهستيريا وأنا أحاول أن أخلص نفسي.. شعرت وكأنها تريد أن تأسرني وتكتفني في هذه الحديقة للأبد...

وفجأة سحبتني الأغصان بقوة شديدة لأسقط من جراء ذلك على وجهي.. شعرت بطعم التربة المبللة بالمطر في فمي، كنت أبكي في رعب حقيقي و أتسائل في مرارة عن عدم عودة أختاي حتى الآن... يا إلهي.. يبدو أنني لن أنعم بالراحة أبداً... كنت وكأنني سمرت على الأرض، و شعرت بالاختناق وأحد الأغصان يلتف حول رقبتي، حينها فقط أدركت أن النهاية قد دنت.. رأيت خيال حبيبي(سامر) و ابني الغالي (يوسف) وكل أفراد عائلتي وجميع أحبتي يمرون أمامي كالأطياف.. أغمضت عيناي وقلت بصوت مخنوق ونفس متقطع:

- لا إله إلا الله محمد رسول الله... لا إله إلا الله....

- (نوااااااار) يا إلهي ماذا جرى لك؟!..

لم أكن أعي ما يحدث حولي سوي سماعي لأصوات تقول:

- يا حبيبتي.. أنظري يا(إيناس) إلى حالها إنها مستلقية على الأرض ووجهها محمر، وأنفاسها تخرج بصعوبة كما ترين.. ساعديني على حملها إلا الداخل... هيا أسرعي...

شعرت حينها أنني رفعت عن الأرض لأشعر بالهواء يملأ رئتي فجأة.. هنا بدأت أغيب عن الوعي ورائحة القهوة الزكية تداعب أنفاسي..

- كانت تريد قتلي... أقسم أن هذا ما أرادته...

هكذا هتفت لهما بعد أن أفقت من إغماءتي - وكان سببها نقص الأكسجين والتي لم تتعدى العشر دقائق- نظرت (هلا) إلى (إيناس) بنظرة ذات معنى، ثم أخذت نفساً عميقاً لتقول بعد ذلك:

- عزيزتي... عندما وصلت للحديقة فلم أجدك مكانك سمعت صوتَ أنين... وعندما تبعت الصوت وجدتك منكبة على الأرض بوجه محمر وأنفاسٍ متقطعة، ثم أتت (إيناس) بالقهوة التي وضعتها على الطاولة لتلحق بي بعد سماع صوت هتافي... ولكن من دون نباتات أو أغصان متسلقة.. صدقيني كان كل شيء على ما يرام ما عداك...

حدقت في وجهها غير مصدقة... كنت حينها مستلقية على سريري، فأمسكت غطاءه بأعصاب متوترة وأنا أكاد أمزقه من شدة الغيظ قائلة:

- ماذا تعني؟.. هل تقصدين بأنني جننت ولم أعد أميز الأشياء من حولي؟..

قالت (إيناس) مهدئة الأوضاع:

- كلا يا عزيزتي... أنت لم تجن بعد.. وإن كنت أشك في ذلك إذا استمر هذا الوضع البشع معك... كل ما قصدته (هلا) هو أنه صور لك ذلك ليس إلا...

هتفت في حنق شديد:

- صور لي؟!... والآلام التي شعرت بها، لقد كدت أن أموت يا امرأة.. هل كل هذا محض خيال؟.. لابد وأنك جننت؟!..

قالت مدافعة:

- لا طبعاً.. أن لا أقصد أنه خيال بل أعتقد- و(هلا) ستؤيدني الرأي- بأن ماحدث معك كان مرئياً من قبلك فقط, أما نحن فلا... تماماً كما حدث معك في باقي الأحداث...

هززت رأسي وقلت لهما بألم و يأس:

- قولي يا(إيناس)... قوليها... أنتما الاثنتين لم تعدا تصدقاني.. أليس كذلك؟..

هتفت في دهشة قائلة:

- لا.. لا تقولي ذلك.. أنت تعلمين جيداً بأننا نثق بك، ولكي تطمئني سأذكرك بتلك الطفلة المخيفة التي رأيتها معك في الحديقة... أنا لست أدري لماذا لا أرى معك باقي الأشياء بما أنني رأيت تلك الشنيعة؟!.

ابتسمت في مرارة قائلة:

- قولي الحمد لله... عموماً ربما رأيتها فقط لأنها كانت ظاهرة لي عند مجيئك فرأيتها صدفة... أما الأغصان المتحركة فلا أعرف ماذا أقول؟..

قالت (هلا) وهي تُهم بالنهوض:

- لا تشغلي بالك "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" والآن اشربي قهوتك التي سخنتها بنفسي لك.. وانسي أمر تسامرنا فبعد ما مررت به أعتقد.. بل

أجزم بأنك في حاجة للراحة، إلا أنك لن تكوني وحدك، فقد لاحظت أن تلك الأشياء لا تعلن عن وجودها إلا إذا كنت وحيدة... وأنا لن أكون متوفرة كل مرة لأنقذك...

أيدتها (إيناس) قائلة:

- هذا صحيح.. وبالمناسبة ابنتي (هناء) لم تنعم بقسط من الراحة كما ظننا لذا لا أظن أن لديها مانع من أن تنام الليلة باكراً عندك بحجة أنك مريضة.. هاه.. ما رأيك؟..

طأطأت برأسي موافقة, وهكذا استدعيا (هناء) بعد أن أوصيتهم على صغيري (يوسف).. وعندما أتت (هناء) وهمت الاثنتان بالخروج حملت(إيناس) معها فنجان القهوة الفارغ، وقالت لي وهي تغمز بعينها:

- لا تقلقي ستتسامر معي (هلا) بذمة وضمير قبل رحيلها، ولكني أعدك بأن أخبرك تفاصيل سهرتنا غداً.. اللقاء...

أخرجت لها لساني لأضحك بعد ذلك، وأنا أتمنى أن ينتهي هذا الكابوس وأحيَ حياتي بشكل طبيعي.. حقاً كانتا محظوظتان لاستمتاعهم الطبيعي في الحياة.. تنهدت من أعماق قلبي.. وبعد أن تحدثت مع (هناء) في أمور عدة غبت وإياها في نوم عميق...

* * *

الفصل الثالث

"الأطياف"

استيقظت من نومي وأنا أشعر بآلام في مفاصلي مما جعلني أستنتج بأنني نمت مدة طويلة، نظرت بجواري فلم أجد (هناء) يبدو أنها أفاقت قبلي...

كنت أتسائل عن الوقت فأخذت هاتفي المحمول لأرى الساعة آه... إنها الواحدة بعد منتصف يوم الأحد أو بمعنى أدق ليلة الاثنين, إذاً فقد نمت سبع ساعات لا بأس بذلك بالرغم من أني حسبته أكثر.. ألقيت نظرة على التاريخ كان التاسع والعشرون من يوليو/تموز.. هززت رأسي و أنا أضع الهاتف على (الكومود)...

أنا لا أذكر بأنني حلمت أبداً يبدو أن الإرهاق جعلني أنام كالمغمى عليها...

لم تعد بي رغبة في النوم, كما و أن الجوع أخذ يقرص معدتي، فأخذت أتخيل وجبة خفيفة مع كوب من الشاي والجلوس أمام التلفاز لمشاهدة فلم ما, أردت أن أجعل خيالي حقيقة فنفضت عني الكسل ونهضت من على فراشي, وحين فتحت الباب كان المكان يغرق في الظلام، استغربت أن ينام الجميع باكراً بعكس ما يحدث أيام الصيف عادة, إلا أني عزت ذلك للإرهاق الذي ألم بهم بعد الرحلة...

كان الظلام يغلف الردهة وأنا أسير بخطوات بطيئة حتى لا أزعج أحد, كنت أفكر حينها أن أذهب لغرفة صغيري للاطمئنان عليه.. لا بد و أنه افتقدني لعدم رؤيتي له قبل أن ينام, ولأني لم أمضي معه وقتاً حميماً قبل النوم، كما عودته أنا و والده...

وعندما شرعت في الذهاب إليه, تذكرت (هناء) هل هي مستيقظة أم أنها نائمة في غرفتها؟...

غيرت اتجاهي لغرفتها أولاً... وهنا أصابني الذهول فالغرفة فارغة.. ترى أين ذهبت (هناء) أيعقل أنها مستيقظة؟.. ربما ولكن غرفة الجلوس غير مضاءة !.. هل نامت هناك؟...

اتجهت بخطوات متوجسة صوب غرفة الجلوس, تماماً كما توقعت، الضوء مقفل والتلفاز يعمل.. هل النوم غلباه فنامت هنا ولم تطفئ التلفاز... ولكن لحظة!... وفي الضوء الشاحب أخذت أبحث بعينان تجاهدان لتميزها حتى أقررت أخيراً بأن لا وجود لها... ترى أين ذهبت؟!...

خرجت من غرفة الجلوس وأنا أشعر بدغدغة غريبة في قلبي... هل أنا خائفة؟...

ولكن لما الخوف!.. ربما تنام مع أمها (إيناس)... نعم ربما... فلأذهب أولاً لأطمئن على (يوسف) و (جوري)...

وصلت أخيراً لغرفتهما فدخلت بخطوات خفيفة حتى لا أيقظهما ومع ضوء (الأباجورة) الخافت ميزت عيناي أمراً جعلها تجحظان في ذهول لتنطلق بعدها شهقة مكتومة مني...

فأمامي مباشرة كان السريران خاليان...

تماماً...

أخذت أركض كالمجنونة وأنا أبحث عن ولدي وابنة أختي... شعرت بهلع شديد بالرغم من وجود احتمال وجودهم جميعاً في غرفة (إيناس)... ولكن إحساس مبهم في داخلي أخبرني بأن الأمور ليست على ما يرام...

وصلت أخيراً إلى غرفت (إيناس) ففتحت بابها بقوة وبدون استئذان لأجدها فارغة!.. وهنا كنت كمن سقط في دوامة عميقة لا قرار لها... يا إلهي أين ذهب الجميع؟!..

أخذت أصرخ والدموع تنحدر من مقلتي والظلام يحيط بي من كل مكان قائلة:

- (إيناااااس)... (يوسوووووووف) أين أنتم؟...

كنت أظن الأرض تدور من تحتي والقنوط قد غمر قلبي.. وفجأة شعرت ببرودة شديدة تحطم العظام كنت حينها لا أزال بملابس الرحلة التي من فرط تعبي نمت فيها.. وقد كانت تتكون من سروال من الجينز الأزرق وبلوزة

حمراء بأكمام طويلة دافئة, ولكن هذا لم يكن يكفي.. فهذه البرودة المفاجئة كانت تحتاج أن أرتدي لها كنزة تحميني منها, لذا وبخطوات خائفة سرت نحو غرفتي والدموع لا تزال تبلل خدي...

وصلت أخيراً إليها, كان من المفترض أن أشعر بالأمان فيها إلا أن هذا لم يحصل معي, فتحت خزانتي وأخذت سترة من الجينز الأزرق أيضاً, ارتديتها على عجل, ووضعت هاتفي المحمول في جيب سترتي، وارتديت حذاء مريح ثم خرجت من غرفتي و أنا كلي عزم في أن أبحث عنهم...

عندما أصبحت في الردهة كان الضباب يغلف المكان بطبقة تجعل الرؤيا شبه مستحيلة.... ضباب داخل البيت, أي كابوس هذا؟!. أم أن باب البيت مفتوح, حتى وإن كان كذلك فلا يعقل أن يدخل إلى عمق البيت هكذا!.. كنت أتسائل داخل نفسي وأنا أشعر بالضياع في أعماقي وفي واقعي.. الواقع المظلم الذي أحياه...

مشيت بحذر وأنا أضع يدي على وجهي وكأني أدفع عن نفسي شر ما, اتجهت وقتها إلى غرفة (إلياس) فلربما يكون موجوداً.. ولكن لا أحد، لقد اختفى هو الأخر.. قررت الذهاب للخارج، وحاولت أن أميز موقع بوابة الفيلا داخل هذا الضباب الكثيف.. حتى نجحت في أخر الأمر...

كان الباب مفتوحاً مما ولد قشعريرة في نفسي, أخذت نفساً عميقاً من الهواء الكاتم للأنفاس من حولي وبخطوات مرتجفة خرجت من المنزل لأصبح

في الشارع وأمامي مباشرة الشارع العام ومن وراءه تقبع باقي بيوت القرية, لم أكن أستطيع تميزها جيداً لكثافة الضباب إلا أني أعلم جيداً أن طريقي لن يكون إليها بل إلى منزل والدي المجاور لنا, فأنا أتوقع من أن الجميع ذهبوا إليه لسبب ما, اتجهت يساراً وبعد الخمسين متراً أخذت أتسلق الربوة التي في أعلاها يتربع منزل والدي في بهاء وسلطة, كنت أسمع صوت الحشائش المحتجة تحت قدمي وهي تهشم كما تهشمت أعصابي في هذه الإجازة الغريبة...

وصلت إلى البوابة الخارجية التي تتوسط سور عالي جداً يصل ارتفاعه أربع أمتار.. مددت يداً مرتجفة من البرد نحو الجرس, ولكنها توقفت في نصف المسافة وأنا أحدق في الباب الموارب... كيف تترك أمي الباب هكذا وهي المعروفة بشدة حرصها...

إنها تخشى اللصوص كما يخشى سكان ترانسلفانيا[1] الكونت دراكولا[2]...

ابتلعت ريقي وأنا أشعر بظهري يقشعر من العالم ورائه من دون أن يعرف ما يمكن أن يحدث خلفه, كنت كمن يكشف ظهره للأعداء, وعند هذه الفكرة تركت ترددي لأدفع البوابة وأغلقها خلفي...

أسندت ظهري عليها وكأني أحمي ظهري من مخالب كادت تمزقه, وأطلقت من صدري زفرة حارة حملت كل الخوف والتوتر الذي بداخلي... وبعد أن استردت أنفاسي المضطربة رفعت رأسي

لأواجه منزل والدي المظلم المهيب, الثابت

في رسوخ أمامي وكأنه تمثال (أبي الهول)[٣] يقبع مكانة في شموخ أدخل الرهبة في نفسي... لأدري لماذا؟.. فلطالما أحببت هذا المنزل الفاخر والشاسع... وأحببت دوماً المجيء إليه... هل هي حاستي السادسة؟.. ربما فلطالما أنبأتني بأحاسيس صحيحة...

ولكني لن أقوى على الانتظار هكذا خارجاً, علي أن أجد ابني واستند إلى حضن عائلتي التي يعلم الله وحده ما الذي تفعله الآن؟...

لذا توجهت بخطوات جاهدت حتى تكون قوية وشجاعة إلى منزل أبي...

ارتقيت الدرجات التي تفصلني عن باب المنزل بسيقان مرتجفة حتى أصبحت في مواجهة الباب.. مددت يدي لأقرع الجرس ولكن حدث معي ما حدث من قبل عند البوابة الكبيرة فقد كان موارب هو الآخر.

---

[١] ترانسلفانيا:منطقة منخفضة في غرب رومانيا اشتهرت بأساطيرها المرعبة وبها قلعة الكونت دراكولا وفرنكشتاين..

[٢] دراكولا:أي الشيطاني وفي رومانيا يسمونه نوسفراتو واسمه الحقيقي الكونت فلاد الوالاشي وكان رجلاً متجبرا وطاغياً
لذا سموه الفلاحين بهذا الاسم..أما الأسطورة فجعلت منه مصاص دماء كما صورها(برام ستوكر) في روايته وكذلك أفلام الرعب الشهيرة..

[٣] أبو الهول ا:تمثال فرعوني في منطقة الأهرامات لأسد بوجه رجل بني بأمر من الملك خفرع وهو باقي بملامحه على مر لعصور..

ابتلعت ريقي ودفعت بيدي الباب لتطالعني ردهة المنزل الفسيحة المظلمة..

كان الضباب لا يزال يغلف كل شيء في الخارج، ولكن لاحظت عندما خطوت إلى الداخل بخطوات متوجسة من أنه دخل معي وكأنه هالة تضفي علي المزيد من الرعب، شعرت وأنا بهذه الهيئة بأنني زومبي في أحد أفلام الرعب الأمريكية...

وفي الداخل بحث يدي عن مقبس الضوء والذي أذكر مكانه جيداً، وعندما وجدت مكانه أخيراً ضغطت عليه بإصبعي ولكن الظلمة لا تزال هي سيد الموقف... إذاً الكهرباء منقطعة عن البيت... يا إلهي هل جميع بيوت القرية هكذا؟.. لا أذكر إن كانت الإضاءة موجودة وأنا في الشارع أم لا.. لقد شلني الرعب عن ملاحظة ذلك.. ولكن منزل عمي كانت الإضاءة لا تزال تعمل به.. غريب!.

بحثت عيناي وسط الظلمة عن الدرج، وحينما استطعت تميزه, صعدت عليه وأن أشعر بطبول تقرع في صدري, وصلت أخيراً إلى الطابق العلوي كان كلي أمل بأن أجد المصباح الاحتياطي (النيون) مضاء كعادة عائلتي إذا انطفأ النور.. ولكن لا شيء.. ظلمة مهيبة وصمت مخيف.. للحظة بدأت أوقن من خلو المنزل تماماً كما حدث في منزل عمي... أقصد منزلنا, مما جعلني أفكر بأن أخرج من هنا حالاً فلا قدرة لدي في أن أبحث في هذا المنزل

الفسيح وحدي، سأموت من الرعب قبل أن أفعل فخيالي خصب جداً... ولكن إن لم يكونوا هنا أين ذهبوا؟..

هنا لمحت حركة سريعة في الظلام, تصلب جسدي, وتوقف عقلي عن التفكير وقبل أن أحسم أمري في أي تصرف أتصرفه, لمحت حركة سريعة أخرى تتجه في عكس اتجاه الخيال الأول... كنت سأطلق لساقي العنان فهذا التصرف الوحيد الذي أجيده...

وفجأة رأيت خيالات عدة لعشر أجسام طويلة سوداء على الأقل، تطير في حركة مجنونة وسط الردهة العلوية.. شل لساني وعقلي وجسدي وأنا أشعر بأنه سيغمى علي من شدة الرعب...

ومن وسط حركة الأطياف المجنونة ميزت أشياءً مكومة على الأرض والأطياف السوداء المجنونة تطير فوقها بسرعة خرافية.. وفجأة رأيت طيفاً ينطلق نحوي مباشرة ويصطدم في وجهي ليتخلله وكأن رأسي مجرد نافذة يدخل ويخرج منها الهواء...

شهقت في رعب وسقطت على ركبتي.. وهنا انطلقت كل الأطياف تنقض علي كما ينقض الصقر على فريسته، شهقت وأخذت أصرخ وأولول وأبكي وأنا أزحف على ركبتيّ لأغوص في أعماق ردهة الطابق العلوي دون قصد مني, كانت الظلمة الشديدة قد اتحدت مع سواد تلك الأطياف لأشعر حينها وكأني سقطت في جب عميق مظلم كريه يمتلئ ليس بالماء بل بالأطياف الشريرة..

وفجأة اصطدمت يداي بشيء على الأرض، في نفس الوقت الذي أنقض علي فيه طيف ميزت ملامح وجهه الحادة، كان يضحك... نعم كلهم كانوا يضحكون ضحكة جهورية حادة كريهة مزقت أعصابي..

تحاشيته وأنا أطلق صرخة فزع ليسقط وجهي حينها على ذلك الشيء المكوم على الأرض، كانت رائحته عطرة مألوفة لدي إلا أني ميزت رائحة دم كريهة فرفعت وجهي لتقع عيناي على وجه والدي الغارق في دمه.. صرخت بهستيريا وأنا أبكي وأتحاشى الأطياف في نفس الوقت لأجد الأرض من حولي مليئة بأجساد هامدة أخرى صرخت في وله وأنا أزحف بينها بعينان مذعورتان.. هذه أمي... لالالالالا.. ماذا فعلوا الأوغاد بوالدي.. ياإلهييي... هذه(إيناس) ووو(هناء) (هلا) و (إلياس) و(جوري) وذلك الجسد الصغير... ذلك الجسد الصغير.. اقتربت منه في جزع - وعاصفة الأطياف لا تزال تهاجمني- لأجده ابني الصغير والغالي (يوسف) لاااااااااااااا... مستحيل..

احتضنته وأنا أصرخ وأبكي وأشعر بأن قلبي سينفجر من شدة القهر والحزن صرخت في تلك الأطياف ووقفت على ساقي بجرأة سببها الغضب وأخذت أضربهم بيداي لأنتقم منهم دون جدوى حتى أصطدم بي أحدهم ليتخللني ببرودة عجيبة قطعت أوصالي كأنها سكين حادة... شهقت و أنا أسقط على قفاي... لأجد نفسي على أرض غرفتي التي غمرها فجأة ضوء الأباجورة الموجود بجانب رأس (هناء) والتي كانت تنظر إلي من فوق السرير بدهشة كبيرة...

كنت أرتجف وأنا أنظر لـ (هناء) أيعقل أنني كنت أحلم!.. لقد شعرت بكل شيء وكأنه حقيقة..

- ماذا بك يا خالتي؟.. يبدو أنك كنت تحلمين فسقطت.. هاهاهاها...

غرقت الخبيثة في الضحك على منظري وأنا التي كنت غارقة في عرقي وأشعر بصدري يعلو ويهبط في ثقل.. نهضت وقلت لها موبخة:

- لا داعي للضحك.. كان حرياً بك الاطمئنان علي عوضاً عن ذلك.. يا لجهلك.. وجعلوك تنامين معي، يا للسخرية.. استجرت من النار بالرمضاء...

قلتها وأنا أعود على سريري والنوم يقاتل ليسيطر علي، وأنا أقاتله حتى لا يغلبني ويجعلني أتوه في عالم من الكوابيس المزعجة...

أما (هناء) فقد فغرت فاها وهي لم تعي كلمة واحدة مما قلت لها.. هزت كتفيها وعادت للنوم بعد أن أطفت الضوء...

أما أنا فكنت أرتجف من الخوف، فأخذت أقرأ آية الكرسي والمتعوذات، وأنا أقاوم انغلاق جفوني الثقيلة حتى استطاعت أن تنغلق عل عيناي لأرى عوالم مختلفة قبل أن يوقظني (يوسف) في الساعة الثانية عشر ظهراً...

* * *

في العصر انطلقنا مع والدي في رحلة أخرى، ولكنها ليست نحو السهول الخضراء، بل كانت متجهة إلى قرية أجدادي حيث البيوت الطين المهجورة، بالإضافة إلى بيوت على الطراز الحديث والقديم نوعاً ما...

كانت السعادة تغمرني ليس فقط لأنني سأزور بيت جدي والذي قضى فيه زوجي طفولته وريعان الشباب، بل لأنني وسط عائلتي الحبيبة والتي رأيتها في منامي ميتة بفعل الأطياف الشريرة.. وبالرغم من أنه كان حلماً، إلا أن مشاعري فيه لا تزال حاضرة في ذهني، لدرجة أنني كدت أبكي عندما رأيت أمي وأبي على قيد الحياة...

كانت السيارة ممتلئة بي وبابني (يوسف)، و(إيناس) وابنتها، و(هلا) وأمي - أما (إلياس) فقد تخلف عن المجيء لارتباطه مع أصدقائه- وكان من حسن حظنا أن السيارة من نوع (GMC) مما جعلنا نجلس فيها براحة كبيرة دون ازدحام...

تسلقت السيارة الطريق المرتفع الحلزوني لتصل إلى أعلى الهضبة.. كان المنظر خلاب، فقد كنا نرى القرية وبيوتنا من أسفل الهضبة وكأنها ألعاب صغيرة، فذلك بيت (باربي) وتلك سيارتها...

وصلنا أخيراً إلى بيت جدي الذي يتكون من طابقين فسيحين يطلان على ساحة مكشوفة في الوسط تنتشر فيها المزروعات والورود والحشائش والتي للأسف مات أغلبها بسب قلة العناية..

كنت أتجول بين غرف المنزل في رهبة شديدة وذكريات الطفولة تمر أمامي

كشريط سينمائي، فهنا كنت ألعب مع زوجي (سامر) عندما كان طفلاً، وهناك كانت والدة زوجي (رحمها الله) تعد الطعام بعد أن ناولتني أواني صغيرة نحاسية لألعب بها...

رائحة المكان لم تعد محملة بالغبار بالنسبة لي، بل إن رائحة البخور والقهوة العربية هي ما يزكم أنفي في الوقت الراهن، وكأن أصحاب المنزل عادوا إليه لأسمع ضحكاتهم وصوت جدي وهو يروي الحكايات عن أسفاره المتعددة، وجدتي تسكب لنا القهوة وتقطع خبز التنور بإبهامها كما جرت العادة، وهناك عمي يضع أذنه على المذياع ليسمع آخر الأخبار متجاهلاً التلفاز كعادته الأبدية.. وعمتي (صفية) بعد أن حلت مكان أم (عابد) (رحمها الله) تسير في ردهات المنزل وهي تحمل في يدها البخور الذي أخذت رائحته الزكية تعطر أرجاء المنزل..

طفرت الدموع من عيناي والحنين يهز أضلعي، ما أقصى هذه الحياة التي تفرقنا عن أحبتنا، أخذت أتسائل في داخلي بوجل: ترى هل سأفقد المزيد؟.. نفضت رأسي مذعورة للمنحنى الذي سارت فيه أفكاري.. نظرت حولي لأجد (يوسف) يركض بمرح في أرجاء المنزل، ابتسمت لذلك لأنه بدا لي وكأنه يعيد ذكريات والديه الذين لطالما ركضا في هذا المكان وملؤا الدنيا ضحكاً وصياحا..

هتف والدي بنا قائلاً:

- تعالوا لنرى الحديقة والحظيرة...

سعدنا كثيراً بهذا الاقتراح فاتجهنا جميعاً لتنفيذه، وأنا متعلقة بذراعي أمي الحبيبة...

استمتعنا بالحديقة والحظيرة الفارغة، والذكريات لا تزال تدور في رأسي.. هنا لمحت غرفة خارجية بالقرب من الباب الخلفي الذي يقود الحديقة إلى التلال الخلفية.. كانت غرفة الاختلاء بالنفس الخاصة بجدي، والتي لم تطأها قدماي أبداً فمفتاحها دائماً مع جدي مما أضفى عليها غموضاً جعل الدخول إليها حلماً يراودني فكما قال المثل" كل ممنوع مرغوب".. نظرت لوالدي بترقب وقلت له مستفسرة:

- أبي.. بما أن جدي توفي (رحمه الله) فهل مفتاح غرفته الخاصة معك أم... أم أنها لا تزال غرفة محظور على الجميع الدخول إليها؟...

ابتسم في تأثر وقال:

- آه.. كلما نظرت لتلك الغرفة أتذكر والدي وهو يقلب صفحات الكتب فيها، ويستمع لـ(أم كلثوم).. لم يكن ممنوعاً الدخول عليه من قبلي أنا وجدتك وعمك.. ولكنها محظورة على الصغار.. والكبار أيضاً في حال عدم وجوده فيها، لذا كان دائماً يقفلها بالمفتاح لأنها تحوي أغراضه الخاصة.. أما الآن فقد عاد المفتاح إلي بعد وفاة عمك (رحمهم الله جميعاً)..

قلت بلهجة حاولت جاهدة بأن تكون طبيعية لا تعكس اللهفة فيها:

- وهل... وهل هو معك الآن؟..- طبعاً إنه من ضمن المفاتيح المعلقة في الميدالية والخاصة جميعها بمنزل جدك...

- عفواً.. ولكن.. هل من الممكن أن أدخل إليها؟..

- بالطبع.. بل سندخل إليها جميعاً..

فرحت و أختاي كثيراً فالفضول كان المحرك الرئيسي لهذه الفرحة.. دخلنا إلى الغرفة المحظورة سابقاً، فشعرت ببعض الحزن لأن الإنسان بعد وفاته لا سلطة له على أغراضه بل كل ما يحمله معه هو عمله الصالح وكفنه... كانت مساحة الغرفة أربعة أمتار طولاً وعرضاً، أما محتوياتها فلم يكن بها سوى خزانة للكتب ومذياع وأريكة منخفضة قديمة الطراز، وبها نافذة واحدة تطل على التلال الخلفية إذ كانت هذه الغرفة تشترك مع سور الحديقة في جدارها الرابع الذي تطل منه نافذتها بالإضافة للباب الخلفي للحديقة على تلك التلال الخالية...

أخذت أقرأ عناوين كتب جدي فوجدتها تتحدث عن مواضيع متنوعة، هتفت (إيناس):

- أووه.. هيا بنا لقد مللت البقاء في هذه الغرفة..

هموا جميعاً بالرحيل إلا أن هناك سبب أجهله جعلني لا أرغب في الخروج منها، لذا أبديت رفضي في الخروج معهم، فلم يمانع والدي ولكنه اشترط أن أبقى فيها عشر دقائق كأقصى حد، حتى لا أعطلهم عن موعد عودتنا إلى منزله...

بقيت وحدي أنظر إلى كتب جدي والتي لاحظت جزءاً منها موضوع على

جانب الأريكة، اقتربت منها لأتصفحها، فوجدتها تتحدث في أمور غريبة، وعلي قراءتها بتمعن لأفهما والوقت ليس ملكاً لي، لذا قررت أن آخذها معي وأعتقد أن والدي لا مانع لديه إن كنت سأعيدها مكانها إذا فرغت منها.. جمعتها في يدي واتجهت نحو النافذة لأودع التلال قبل رحيلي.. كان الجو صحواً ومنعشاً، وغروب الشمس بقي عليه ساعة كاملة مما يعني التمتع بمنظر القرية المطلة عليها شرفة أبي عند عودتنا لمنزل الأخير..

أخذت أمشط بعيني التلال المقفرة إلا من بعض الحشائش في حزن، وهناك رأيته.. نعم رأيته يقف على أعلى التل، شامخاً بطوله الذي يتعدى المترين، والسواد يغطيه من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه ولكنه لا يلامس الأرض.. نعم لا يلامسها بل إنه يطفو فوقها بارتفاع ٢٠ سنتيمتر تقريباً، جحظت عيناي من الذعر وألجمت الصدمة لساني..

لا.. لا يعقل مستحيل، هل سأجده في كل مكان أذهب إليه؟!.. أردت الهرب هذا جل ما تمنيته.. وشعرت بندم عنيف لأني بقيت هنا لوحدي، ولكن ما أدراني بأنه سيظهر حتى وأنا بعيدة عن المنزل.. ولما لا.. ما أغباني.. ألم تلحق بي الخيالات المرعبة وأنا في الرحلة البارحة؟!.. كان يتقدم بانسيابية نحوي.. شهقت وأخذت أبلع ريقي بصعوبة، أردت العودة للوراء ولكن ساقاي أصبحت ثقيلة.. لماذا الآن عندما أكون في حاجة لها؟!. يا إلهي إنه يقترب.. أخذت أبكي وأنا أحاول الهرب نحو الباب.. اقترب أكثر.. أنه عند الباب الخلفي لسور الحديقة.. لقد اختفي تنفست بصعوبة وأنا أترقب الخطوة

التالية.. وفجأة أصبح أمامي مباشرة عند النافذة، شهقت من هول المفاجأة قائلة:

- بسم الله...

ولكني قبل ان أفعل كنت قد لمحت نظرته لي، وقد كانت نظرة مريعة بشكل لن أنساه ما حييت، نظرة هي أشبه بنظرة الذئب الجائع إلى فريسته.. نظرة أرسلت في أوصالي رجفة جعلتني أشعر بآلاف السكاكين تمزق أحشائي بنصلها البارد..

ولكن بعد ذكري لاسم الله كان قد اختفى مما أعطاني فرصة للهروب، فأطلقت لساقي العنان لتسابق الريح حتى أخرج من تلك الغرفة التي أصبحت مخيفة جداً بالنسبة لي، فتحت بابها وخرجت ولكني حين أصبحت خارج الغرفة رأيته يقف في الحديقة وكأنه كان بانتظاري.. أخذت أجري والذعر يعصف بجوانحي، حاولت أن أذكر الله ولكن دون جدوى، فقد ألجم الخوف لساني.. كان يقترب.. ويقترب.. وأنا أجري.. وأجري.. وأجري.. دخلت المنزل من الباب الخلفي فوجدته فارغاً، وذلك الشيء لا زال يتقدم بهدوء واثق.. وهنا رأيت أمي تلوح لي وهي تقف عند باب المنزل الأمامي، صارخة بي:

- هيا سنرحل يا (نوار) الجميع في السيارة وأنا عدت لأصطحبك، جيد أنك أتيتي.. هيا اركضي أسرع..

قالتها ثم رحلت، يا للمصيبة.. لقد رحلت وهي تظن أنني أجري بسرعة لألحق بهم.. وأنا التي فرحت لوصول أمي في الوقت المناسب..

ركضت في سباق مع زمن.. هاهي البوابة لا يفصلني عنها سوى بضع أمتار.. وذلك العفريت الأسود لا يفصله عني سوى بضع أمتار هو الآخر.. تباً له فلا أحد يراه سواي.. ولكن ربما إن خرجت وإياه من ذلك الباب ثم شاهد عائلتي، يرحل ويتركني.. كنت آمل ذلك مع أني واثقة أنه لو أراد الإمساك بي لفعل بسهولة.. هاهو الباب يقترب.. وأخيراً خرجت لأرى سيارة والدي وأخوتي يركبون فيها.. أما العفريت.. اختفى.. نعم لقد اختفى كما توقعت.. هنا توقفت لأزفر بقوة وأخرج مع أنفاسي الملتهبة، كل الرعب والتوتر الذي أصابني...

وفجأة خرجت يد من تحت الأرض لتمسك قدمي بقوة.. صرخت في فزع وأنا أخلص قدمي منها.. وهنا خرجت يد أخر، وأخرى، وأخرى صرخت في هلع وأنا أرى تلك الكف المرصعة بالجواهر.. هي بعينها بل العشرات منها.. صرخت صرخة مذعورة لم تتجاوز من شدة الذعر حلقي، وأخذت أجري بقوة لسيارة والدي وعباءتي التي لم أخلعها منذ بداية رحلتنا، تطير مع الهواء فتحاول الأيدي الإمساك بها... ركضت وقلبي سيتوقف من الهلع وكلما تقدمت خطوة خرجت يد أخرى من تحت الأرض بلونها الرمادي وعروقها البارزة.. اقتربت من السيارة وأنا أمد يدي لأتشبث بها، وعيناي تعكسان كل الذعر وهي تنظران لعائلتي، التي كنت أتمنى من كل قلبي أن تساعدني..

قفزت هنا وهناك حتى لا تمسك بي الأيدي، وصوت خروجها من التراب يصك مسامعي..

هاهي السيارة أمامي والأيدي لا تزال بإصرار عجيب تحاول الإمساك بي.. هنا قفزت نحو الباب المفتوح لأصبح أخيراً داخل سيارة أبي العزيزة، ولمزيد من الأمان أغلقت الباب برعب وأنا أصرخ في لهفة قائلة:

- بسرعة.. بسرعة لنرحل من هنا...

ضحك والدي بطريقة أغاظتني كثيراً، ليقول من بين أنفاسه المتقطعة:

- كل هذا رعباً من أن نذهب ونتركك..هاهاها.. لابد وأنك جننتي..

عقبت والدتي ضاحكة:

- كان منظرك مضحكاً وأنت تركضين وتصرخين حتى لا نذهب.. يبدو يا بنيتي أن البيوت المهجورة تخيفك..

أخذت ألهث مذعورة من سخريتهم.. ألم يروا الرعب في عيني ليستنتجوا أن ما بي ليس أمراً سخيفاً كما يقولون؟!. نظرت باستنجاد لأختيّ واللتين تعرفان المصائب التي تسقط على رأسي، ولكني ذعرت عندما وجدت الدهشة والاستفسار في نظراتهم.. قالت (إيناس) بحنو:

- هل خفت من البقاء وحدك حتى لا يظهر ذلك الشيء؟..

قلت لها وأنا أرتجف:

- ولكنه قد ظهر فعلاً وتلك اليد اللعينة.. أقصد الأيادي كانت تلاحقني ألم تريها أنظري..

أشرت للأرض من النافذة فكانت خالية حتى من أثار التربة المبعثرة من جراء خروجها.. قال والدي بتذمر:

- لقد أسقطت كتب جدك على الأرض بسبب تهورك.. من سمح لك بأخذها؟. هيا اذهبي وأحضريها.. وأعتني بها جيداً.. بسرعة..

نظرت له مذعورة وأنا أهز رأسي في رعب لمجرد الفكرة.. هنا تطوعت (إيناس) بعد أن رأت الذعر في عيني لتحضرها بنفسها..

كانت تسير بهدوء وثقة تحسد عليها والأرض تحت قدميها هادئة وديعة، وكأن عاصفة الأيدي المجنونة حدثت في أرض أخرى..

عادت (إيناس) وهي تحمل الكتب قائلة لي بتأني رصين:

- مهما حدث معك فأنا أصدقك.. ولكن ثقي أننا لم نرى شيئاً أبداً..

ابتلعت ريقي وأنا أنظر لبيت جدي والسيارة تبتعد عنه لأرى العفريت الأسود يقف على عتبة المنزل وكأنه يودعني إلى لقاء قريب...

* * *

في شرفة والدي والتي تطل على القرية في منظر خلاب لم أشعر به لسوء حالتي النفسية.. جلسنا نشرب الشاي، كنت مصابة بالضيق لما حدث ويحدث معي، نظرت لي (هلا) و(إيناس) نظرات شفقة واضحة بعد أن حكيت لهم ما حصل معي.. كنت أفكر في سبب وجود يد المصائب في حديقة عمي لأعرف أصلها، فتبادر إلى ذهني سؤال ترجمه لساني لأبي قائلاً:

- أبي.. بيتنا.. احم.. اقصد منزل عمي (رحمه الله) هل كان أرضاً جرداء أم كان به غرفة سابقة أو.. أقصد..

قاطعني والدي قائلاً:

- قصدك أنه تكملة لبناء قديم.. مالذي جعلك تظنين هذا؟!. لا.. لا.. مستحيل.. لقد كانت أرضاً نظيفة تماماً.. أنهى بناء منزله عليها قبل خمس سنوات، وسكنه قبل عودة جدك من مصر إلى السعودية (رحمهم الله جميعاً)..

هنا تذكرت صدمتي عندما سمعت بنبأ وفاة جدي فلم أكن أتوقع أن يحدث ذلك مبكراً لما عرف عنه من القوة والصحة الممتازة.. فقلت وأنا أحدث نفسي بصوت مسموع:

- لقد مات جدي بسكتة قلبية.. أذكر ذلك.. آآآه (رحمه الله) كان شخصاً رائعاً..

قال والدي بصوت مخنوق من شدة التأثر:

- آآآآه.. لقد آلمتني طريقة موته كثيراً..

قلت له بدهشة مستفسرة:

- ماذا تعني؟!.. أن يموت المرء بسكتة قلبية، خير من أن يمرض مرضاً مزمناً يعاني منه.. أو أن يموت بعد خرف الشيخوخة ومعاناتها...

قال بابتسامة مريرة:

- نعم معك حق يا ابنتي.. ولكن ملامح وجه جدك عند موته سببت لي انقباضاً لا يزال موجوداً في صدري حتى اليوم.. فلا أظن من عانى سكتة قلبية أن تكون تلك إمارات وجهه..

شعرت بانقباض في قلبي لما سمعته أذناي.. قالت (هلا) بصوت واهن:

- والدي.. ما هذا الكلام؟!. لقد أخفتني.. أفصح أرجوك عن معنى كلماتك..

أطلق زفرة حارة خرجت من أعماق صدره وقال:

- كان جدكم سعيداً جداً عند عودته للسعودية، واستقراره فيها أخيراً، بعد غياب سنين طويلة في مصر والتي أحبها كثيراً، فقد أمضى فيها وقتاً كان حسبما قال، من الأوقات التي لم ولن ينساها أبداً... لا ألومه على ذلك فتجارته هناك كانت رابحة بالفعل، والمزرعة التي كان يملكها أنتجت أجود أنواع الحمضيات.. وباختصار (منتجات البحر المتوسط).. وذلك البيت الجميل الريفي الطابع والذي تحيط به الأزهار، كان غالياً على قلبه.. لقد

زرته مرات عدة كما تعرفن، ولكن للأسف لم تتسنى لي فرصة اصطحابكن معي لأن توقيت سفري كان دائماً في وقت الدراسة التي منعتكن من ذلك...

صمت قليلاً يتجرع الذكريات ثم أكمل قائلاً:

- كان مثقفاً بالنسبة لبني جيله، يعشق القراءة خصوصاً في مجال التاريخ، ولكن تاريخ الحضارة المصرية القديمة كان أكثر الأمور التي أبهرته وجذبت اهتمامه.. لدرجة أنه صار مولعاً بشراء أي شيء يخص تلك لحضارة.. ولديه مجموعة لا بأس بها من الآثار المصرية.. أ..أ..المهربة للأسف..

شهقت فزعة لهذه المعلومة الأخيرة.. فقلت غير مصدقة:

- تقصد.. الـ... الـ... المسروقة..

طأطأ والدي برأسه في أسف وقال:

- ليس هو من سرقها.. بل اشتراها ممن سرقها.. سامحه الله.. لم يستطع مقاومتها عندما عرضت عليه فقد استغل البائع معرفته لحب جدك للآثار المصرية.. وقبل عودته للسعودية كان قد باع جميع ممتلكاته هناك وأدخل تلك الآثار للسعودية بطرق ملتوية..

عندما عاد كان قد قرر الاستقرار في منزله هنا إلى الأبد، فقد كبر في السن وآن له ولجدتك الأوان في البقاء في وطنهم مع أولادهم وأحبابهم، الطريف في الموضوع أن عمك الذي كان يسكن في ذلك المنزل بعد وفاة عمتك أم (عابد)

رحمهم الله.. كان قد بدأ في بناء منزله المجاور قبل عودة جدك، مع أنه عاش في منزل جدك العزيز أكثر من ثلاثين عام، وكان ذلك بعد زواجه من عمتك (صفية)...

علقت والدتي قائلة:

- كان سعيداً في (جده) ولكنه بعد ترمله عاد للحياة في منزل جدكم، وتزوج (صفية) التي أنجبت في ذلك البيت (سامر).. كان جدك يحب (الباحة) ويرتاح فيها عندما كان يقضي فيها فترة الإجازة.. وأعتقد أن عمتك (أم عابد) كانت تحب هذه البلدة أيضاً، ولكن برد الشتاء لم يكن يناسبها بسبب إصابتها برومانتيزم العظام، مما جعل مدينة (جده) أنسب مكان لصحتها..

قال والدي بأسى وحزن عميق:

- ولكنهم رحلوا.. جميعهم رحلوا.. فأبي الغالي مات بعد عودته بشهرين فقط.. شهرين فقط.. مدة قصيرة لم يتسنى له فيها الراحة الطويلة التي تمناها في هذه القرية الهادئة... والأمر من ذلك أن جدتكن المسكينة لم تطق فراقه فلحقت به بعد ستة أشهر.. تغمدهم الله برحمته وعفوه وغفرانه...

صمتنا بعد حديثه احتراما لذكرى موتانا واحتراما لحزن والدي.. ولكنه قطع هذا الصمت عندما قال بألم شديد:

- كانت الطامة أكبر عندما توفي عمك بعد جدتك بأربعة أشهر، لم يتسنى لنا أن نضمد جراحنا حتى فجعنا بموته.. كانت تلك أسوأ سنة مرت علي في

حياتي كلها.. فقدت فيها ثلاثة أعزاء على قلبي.. آآآآه.. كم أفتقدهم.. حقاً أنني أفتقدهم بشدة.. عندما يغيب شخص عزيز على القلب مهما طال غيابة، طالما أنه على قيد الحياة فهناك أمل في لقاءه.. ولكن إذا مات...

صمت وهو يهز رأسه في أسى.. فقلت له بصوت هامس:

- أنا أسفه لأني أعدت أليك تلك الذكريات الحزينة..

- لا بأس يا ابنتي.. إنها سنة الحياة، "ولن تجد لسنة الله تبديلا "..

قلت له بعد برهة:

- عفواً يا أبي أطلت عليك ولكنك لم تكمل أمراً أثرت فيه فضولنا..

نظر إلي في حيرة وقال:

- أي أمر؟!..

قلت مذكرة:

- أمراً ذكرته عن وجه جدي عند وفاته.. مالذي رأيته على وجه جدي عند وفاته يا أبتاه؟..

مط شفتيه في ضيق، فقد كان واضحاً أنه أمرٌ يضايقه جداً.. سحب نفساً عميقاً ثم قال:

- كان ذلك بعد شهرين من قدومه كما تعرفين.. توفى وهو على التل الخلفي للمنزل بعد أن خرج إليه كما يبدو واضحاً من غرفته الخاصة التي كان يقضي وقته فيها للقراءة.. تظن جدتك أن ذلك حدث بعد أن أوت لفراشها، والأرجح أنه بعد منتصف الليل، لأنها نهضت من نومها في الساعة الحادية عشر والنصف لتشرب الماء، وعندها ذهبت للاطمئنان عليه فوجدته لا يزال غارقاً في القراءة.. أشفقت عليه لأنه ليس من عادته النوم متأخراً ولكنه منذ عودتهم من مصر بأسبوعين كما تقول أصبح لا ينفك عن قراءة كتبه في تلك الغرفة الخارجية.. إلا أنها عندما أبدت ملاحظتها تلك، قال أنه سيلحق بها بعد وقت قصير لذا عادت لنومها ولكنها عند الفجر وجدت أنه لم يأتي بعد.. ذهبت لتفقده في تلك الغرفة فلم تجده، ثم بحثت بعد ذلك في جميع أنحاء المنزل دون جدوى، في بادئ الأمر خافت ولكنها عندما سمعت أذان الفجر قدرت أنه نهض من نومه دون ان تشعر به، ليتعبد في المسجد حتى يحين وقت الصلاة فيؤديها ويعود.. ولتطمئن أكثر ظلت تنتظره حتى انتهت الصلاة.. هنا بدأ الفأر يلعب في حضنها وأخذ القلق ينهش روحها الخائفة، فاتصلت بعمك وبي وكنت حينها في (الباحة) لزيارة والدي ولقضاء بعض الأمور أن كنتن تذكرن.. بحثت وعمكم في كل مكان وبعد جهد جهيد وبحث طويل، وجدناه على ذلك التل المقفر وراء المنزل، كان وجهه.. كان وجهه متألم جداً.. بل مذعورٌ جداً أن شئتم الدقة أكثر.. آآآآه.. لا أدري هل كانت رؤيته لملك الموت هي السبب؟!. فوجه المرء عند الموت يعكس أخرته أحسنة

أم سيئة؟.. ولكن جدكم أشتهر بحسن خلقه ودينه.. لذا أستغرب تلك النهاية.. حقاً أستغربها.. لدرجة أنني وعمكم جعلناها طي الكتمان حتى لا تصبح نهايته علكة في أفواه الناس..

قالت (إيناس) بأسف شديد:

- وسيبقى دائماً في طي الكتمان.. أنا حقاً آسفة لما حصل..

زفر والدي بحرارة وقال:

- وما نفع الأسف.. فقد رحل.. ورحل عمك أيضاً وعلى وجهه الإمارات نفسها..

هتفت مع أخوتي في وقت واحد:

- ماذاااا؟!..

- نعم.. نعم.. أظنها نفس الخاتمة...

* * *

عندما عدنا للبيت مشاعر كثيرة اجتاحتني، لا أظن جدي كان شخصاً سيئاً لدرجة أن ينطبع على وجهه كل ذلك الذعر، لعله رأى أمراً قبل وفاته أدى إلى ذعره الشديد فأصيب بسكتة قلبية.. نعم أظنه التفسير الوحيد فكم من شخص خاف حتى مات، استنتاجي هذا أراح والدي كثيراً، ولكنه في نفس الوقت أصابه بالقلق، ففكرة ان يموت والده ذعراً من شيء ما، أصابته بحزن شديد، تمنى لو أنه رأى ما أثار ذعر جدي - إن كان هذا الذي حصل- ليقضي عليه، عقب والدي على الفكرة وقال:

- ربما كان ذئباً أو مجموعة ذئاب، ولكن جدكم شخص قوي البنية لذا أستبعد هذا الاحتمال خصوصاً أن الجثة كانت سليمة تماماً، فإن كانت قد واجهته وطردها فلا داعي لذعره وموته، وإن كانت واجهته وأثارت ذعره فلابد من أنها هاجمته وأكلته، وإن كانت ضباع، فبعد موته ستأكله لجوعها ولشراستها، خصوصاً أنها تأكل الجيف.. ولكن جثته كانت سليمة تماماً إلا من علامات الذعر في وجهه.. وأما عمك فلا مجال لوجود شيء يخيفه حتى الموت..

عقبت على قوله بأنه ربما يكون قد شاهد وعمي عفريتاً.. احتار والدي لكلامي لأن جدي وعمي شخصان مؤمنان يذكران الله.. وهكذا كان موتهم لغزاً، خصوصاً السبب وراء خروج جدي من غرفته الآمنة، قال والدي بحزم:

- هناك سبب أكيد لخروجه لا نعرف ماهو، كل الذي نعرفه أنه كان

يتصفح صندوقه وحاجياته ويقرأ بعض الكتب قبل أن يتركها جميعاً ويخرج للتل حتى وافته المنية، لقد حافظت والدتي على حاجياته الخاصة ثم أعطتها لعمكم قبل وفاتها بأسبوع، أما أنا فلم أسأل عنها لأنني متأكد من أنها بخير، حيث وضعها أو أورثها عمك لأحد من أبناءه.. لا ينفع الآن سوى الترحم عليهم جميعاً...

هكذا أخذتني الذكريات والخواطر حتى قادتني قدماي إلى حديقة المنزل، هنا تذكرت ما قاله والدي عن وفاة عمي، لقد مات هنا في الحديقة بالضبط على تلك التربة الجرداء... آآآآآآه.. يا خلود.. لقد تفاجأت كثيراً لهذه المفاجأة.. عندما علمت بموته كنت حينها حاملاً في الشهر السادس، وعائلتي تقضي إجازتهم هنا في (الباحة)..

ثم حضرت مع (سامر) العزاء الذي أقامه زوجي وأخوه (عابد) - زوج (إيناس) إن كنت لا زلت تذكرين- في منزل عمي.. علمت أنه توفي من سكتة قلبية.. حزنت كثيراً خصوصاً إنه لم يستمتع بعد بمنزله الجميل سوى عام ونصف فقط.. كانت عمتي (صفية) منهارة تماماً، ولكن حزنها لم يطل إذ ماتت بعده بسبعة أشهر في مشفى بـ(جده) كانت تهذي كثيراً في أشهرها الأخيرة في الحياة... إنه لمن المحزن فعلاً أن نفقد أشخاص أعزاء على قلوبنا وبشكل متعاقب، فما نستطيع أن نفيق من الصدمة أخيراً حتى نفاجأ بصدمة أخرى وهكذا.. كنت وقتها أسير بشكل لا إرادي تجاه الحديقة

الجرداء.. هل فعلاً مات عمي هنا، وإمارات الذعر والألم على وجهه كما قال والدي؟!.

فعمي أيضاً رجل صالح لم يترك صلاته أبداً.. إذاً هل رأى هو الآخر شيئاً أفزعه ؟!. ولماذا؟.. لماذا يوجد شيء يفزع جدي وعمي لماذا؟!. لحظة جدتي أيضاً ماتت في غرفتها مذعورة كما قالت والدتي مضيفة..هذا السر لم يخبره أبي لأحد إلا لنا اليوم، حتى لا يكثر الناس من القيل والقال.. ولكن والدي لم يربط بين طريقة موتهم أبداً.. كيف لم ينتبه والدي لهذا الترابط العجيب؟.. هل كان يظن أنها خاتمة سيئة لأعز الناس عليه؟.. السؤال الآن ليس سبب خاتمتهم السيئة؟. بل هو سبب موتهم أصلاً بهذه الطريقة؟..

هكذا أخذت علامات الاستفهام تدور في رأسي وأنا أنظر للحديقة الجرداء.. هنا تذكرت تلك اليد اللعينة.. نعم عمي مات هنا مذعوراً هو الأخر.. هل كان يدفن اليد هنا.. بل أظنه هو الذي وضع الطوب الأحمر على موقع الدفن ليخفي التربة نهائياً حتى لا يخرج أحدٌ تلك اليد، ولكنه لم يتسنى له إكمال البناء لأنه.. لأنه مات قبل أن يفعل..

هذا واضح..

فمن يضع الطوب فوق جزء من حوض خصص للزراعة فقط، والجزء الباقي لا.. ثم يصادف أنه تحت الجزء المغطى مدفونة يد مخيفة مرصعة بالجواهر المتوهجة.. هذا واضح فهناك ما حمل عمي على دفنها وكأنه يبعد

عن نفسه شر مستطير.. أما السؤال الأهم هو من أين وكيف جلب عمي تلك اليد الغريبة؟. وما هي بالتحديد؟!.. عند هذا الحد توقفت أفكاري إلا من فكرة واحدة وهي.. هل ذلك العفريت بدون ملامح هو الذي أرعب عمي حتى الموت.. لماذا؟. وماذا يريد منه؟.. وهل هو السبب وراء خوف جدي وجدتي أيضاً حتى الموت؟!.. و.. و.. وهل هذا المصير الذي ينتظرني؟!...

ظل سؤالي بلا جواب...

بعد العشاء جاءنا زوار فانشغلنا معهم وتسامرنا حتى غادرونا في تمام الساعة الواحة صباحاً.. كنت قد استنفذت كل طاقتي، فهذا اليوم كان حافلاً بالأحداث والأخبار التي بالتأكيد ستقض مضجعي.. وضعت ابني (يوسف) على سريره ومضيت معه الوقت حتى نام، وكذلك فعلت (إيناس) مع ابنتها (جوري).. فاجأتها برغبتي في النوم باكراً فبالنسبة لأيام الصيف يستمر فيها السهر حتى وقت متأخر، ولكني شرحت لها بأنني منهكة فكرياً وجسدياً، وجل ما أتمناه هو الاستلقاء على سريري والذهاب في نوم هادئ وعميق..

اتجهت لسريري وعندما استلقيت عليه أمسكت بكتب جدي والتي لم تتسنى لي فرصة قرأتها، فوجدتها تتكلم عن التاريخ المصري القديم.. يبدو أن جدي كان كما وصفه والدي بالضبط مولع بالتاريخ خصوصاً ما يخص الحضارة الفرعونية.. ولكني لم أكد أتعدى بضع صفحات حتى شعرت بثقل

في رأسي وصداع يكاد يفجره من كثر الإنهاك، لذا وضعت الكتب جانباً وتركت إضاءة الأباجورة الجانبية الخافت مضاء بسبب الخوف الذي أصبح رفيقي الدائم.. وما إن لامس رأسي الوسادة حتى شعرت بقشعريرة باردة تسري في جسدي.. أووووه لا.. أريد أن أناااااام.. ولكن دبيب النمل هذا يفتت جلدي، وكأن شيء يسير فوقي.. لحظة.. هناك شيء يسير فوقي فعلاً وسبب لي هذه القشعريرة باردة، أردت أن أرفع جزئي العلوي لأرى ذلك الشيء الصغير والذي شعرت به وهو يتسلقني، ولكنني كنت متسمرة فوق فراشي بلا حراك..

وجهت وجهي للأسفل لأرى.. هنا صعقت.. فما أراه الآن لا يصدقه العقل أبداً، فأمامي مباشرة وبالتحديد على قدمي اليسرى، كانت تلك اليد المرصعة بالجواهر البراقة، تسير على أصابعها فوق رجلي.. كان شعوراً مرعباً ومقززاً في الوقت نفسه، وكأن عنكبوت (الأرملة السوداء) هي التي تسير علي.. صحيح أنه شعوراً لم أجربه من قبل، ولكنني اجزم أنه مقارب لما أشعر به الآن، بل إن اليد أكثر اشمئزازاً ورعباً..

حاولت النهوض فلم أقدر، أردت أن أهز قدمي لأرمي بها ولكنها كانت ثقيلة كالصخر، حاولت الصراخ ولكن الصرخة لم تتعدى حنجرتي فقد ظلت محبوسة بها.. كان العرق يتصفد على جبيني.. والرعب سيجنني وقلبي يكاد أن يتوقف.. يا إلهي إن اليد الآن أصبحت فوق بطني وهي تمشي ببطء شديد واثق.. يا رحمن إنها على صدري.. آآآه يا ربي اجعل صوتي مسموعاً.. ماذا

سأفعل إن أصبحت فوق وجهي؟.. حاولت الحركة في رعب محموم ولكن لا فائدة كنت أشبه بالتمثال الحجري.. يا الله.. إنها فوق عنقي.. أشعر بالغثيان.. يا ليتني أختفي من هذا المكان.. ما.. ماذا تفعل عليها اللعنة؟!. إنها.. إنها.. آآآآآآه.. إنها تلتف حول عنقي.. و..و.. وتخنقني.. لا.. لا أستطيع التنفس.. سـ. سأمووووت.. يااارب.. (نوار).. (نوار).. استيقظي يا (نوار)...

هنا استيقظت فجأة وكأن هناك من صفعني على وجهي، فشهقت بقوة لأدخل أكبر قدر ممكن من الهواء لرئتي المكتومة.. نظرت بعينين زائغتين لـ(إيناس) وأنا غارقة في عرقي والشحوب يعلو وجهي...

نظرت حولي مذهولة وأنا أبحث بعيني عن تلك اليد الكريهة فلم أجدها.. نظرت لأختي في رجاء مذعور.. فقالت لي ووجهها ينطق خوفاً علي:

- ما بك يا عزيزتي؟!.. لقد جافاني النوم فأردت رؤيتك في حال كنت مثلي لنتسامر.. ولكنني وجدتك تحت وطأة كابوس فظيع، قدرت ذلك من التوتر الذي غزا أطرافك والاحمرار الذي لون وجهك، وكأنك تختنقين فأيقظتك.. ماذا رأيت يا عزيزتي؟.. هيا أخبريني.. لا بد أنه كابوس مرعب...

جلست في وهن شديد وعيناي لا تزالان جاحظتان من الرعب.. إذاً.. كنت أحلم.. ولكن الأمر بدا لي حقيقية.. أنا متأكدة من أنه حقيقة.. قصصت ما جرى مع تلك اليد لـ(إيناس) وكأن العدوى انتقلت مني إليها فأصابها الشحوب بدورها.. وقالت لي بقلق حقيقي:

- اسمعيني جيداً.. لا بد من حل ما.. لن نقف هكذا مكتوفي الأيدي حتى يقضي عليك ذلك الشيء، ثم يقال ماتت بسبب سكتة قلبية كما حدث مع الجميع...

نظرت إليها غير مصدقة لما سمعت منها.. فقلت لها بلهفة:

- أتعنين أنك وصلت لما وصلت إليه؟!..

قالت لي بجدية تنطق من كل حرف من حروف كلماتها:

- بالطبع.. لست غبية حتى لا ألاحظ.. فمن غير المعقول أن تجمع الصدفة بين أشخاص من عائلة واحدة ليموتوا ميتة واحدة في أوقات متقاربة.. أولاً جدي ثم جدتي ثم عمي وبعد ذلك عمتي (صفية).. صحيح أنها لم تصاب بسكتة قلبية كالبقية، إنما توفيت في المستشفى بسبب أمراض عدة، ولكنها بعد موت عمنا بشهر واحد أصيبت بالخبال، لقد ظننا أنه كان بسبب فقدانها لزوجها الحبيب، ولكن قوة إيمانها بالله تمنعها من ذلك اليأس، بالإضافة إلى أنها ليست المرة الأولى التي تفقد فيها زوجاً بل إنها المرة الثانية.. وامرأة كهذه تكون محصنة ضد هذا الإحباط..

لقد خافت كثيراً وهذا سبب قولها للخزعبلات الغريبة كالتي تقولينها أنت الآن، حتى اضطر أخوها لأخذها من هذا المنزل لتسكن معه بعيداً عن موطن الذكريات.. إلا أن ذلك لم يوقفها فحاولت الانتحار، لولا أن تداركها الله برحمته فأرسل من رآها لينقذها قبل أن تموت.. وبعد ذلك غزا جسدها

المرض ثم ماتت.. لقد عانا (سامر) من الحزن أكثر من الكل كما تعرفين.. الآن فقط فهمت السبب وراء ما حصل لها.. وأخشى من كل قلبي أن يكون هذا مصيرك إن استمرت هذه الأحداث معك...

صمتت أخيراً وأخذت تترقب رد فعلي، كنت مشدوهة من هذا الكلام صحيح أنني أعرف ما حدث مع عمتي(صفية) ولكن ملاحظة (إيناس) أخافتني كثيراً.. فقلت لها بتوتر:

- تقـ..تقـ.. تقصدين أنها رأت ما رأيته...

ردت علي باقتضاب:

- بالضبط..

أخذت نفساً عميقاً وقلت:

- حسناً أرى أنه معك الحق في كل كلمة قلتها.. هذا بالتأكيد التفسير الوحيد، ولذا جاءتني في المنام.. أرادت تحذيري، وأنا من شدة غبائي ظننتها توصيني أن أبحث عن موقع الطوب...

قالت (إيناس) بحزم:

- ربما كانت توصيك بذلك فعلاً..

هتفت بدهشة قائلة:

- مااااذا؟!. كيف؟!..

قالت وعيناها تتسعان أكثر وأكثر:

- نعم كانت توصيك.. توصيك بالتخلص منها...

- ولماذا أنا بالذات؟. لماذا لم تأتي إليك مثلاً، أو لـ(سامر) أو لـ(عابد) أو لـ(جميلة) أو أي شخص أخر؟!.. ثم كيف أتخلص منها؟.. إن كانت هناك طريقة لفعلت هي..

هزت كتفيها بحيرة شديدة وقالت:

- لا أعرف.. حقاً إنه لغز معقد.. ولكن أظنها اختارتك أنت لأن في مقدورك فعل ذلك.. ربما من يدري..

قلت في حيرة أشد:

- ولكن كيف؟.. فأنا أكاد أموت من الرعب.. وهي قد ماتت دون ان تقدر على التخلص من هذا الرعب كما يبدو واضحاً.. بالإضافة لعمي وجدي وجدتي.. وإن كنت أستغرب وصول هذا الشيء لجديّ فعمتي تعيش مع عمي أما هما فقد ماتا قبلهما، فمالذي أوصل هذا الرعب إليهما؟!..

صمتت (إيناس) تفكر، وأنا أطرقت برأسي أبحث عن سبب منطقي لهذا.. وهنا أضيء النور في خلايا دماغي فجأة، فرفعت وجهي نحو أختي وبريق يشع في عيني.. وابتسامة واثقة ترتسم على شفتي، لأقول لها:

- نعم.. نعم.. . يبدو أنني قد فهمت السبب وراء هذا كله..

* * *

الفصل الرابع

"اللعنة"

- جدي السبب...

هكذا هتفت لـ(إيناس) بثقة، وافقتني عليها الأخيرة، بإيماءة من رأسها وعقبت قائلة:

- نعم.. نعم معك حق، أظن ذلك صحيح، جدي هو الذي أحضر ذلك الشيء فأدى إلى وفاته، بل أظنه هرب للتل مذعوراً.. تماماً كما كنت تفعلين اليوم والبارحة وكل يوم منذ أن أخرجت تلك اليد اللعينة، وبما أنه مات فبالتأكيد ستنتقل ممتلكاته الخاصة جداً إلى عناية جدتي ولكنها المسكينة عانت ما عانيته فأرادت استشارة عمي فأعطته الصندوق ولكن ذلك لم ينقدها فجاءها أجلها وماتت مذعورة هي الأخرى، أما عمك فلأن الفضول قد أغواه بالإضافة إلى أنه أراد معرفة ما حذرته منه جدتي لثقته الكبيرة في قدرته على حل الأمور كما أعرف عنه.. تعرف على تلك اليد و ما حصل فأنت أكثر من جربه ويعرفه ثم....

قاطعتها لأستفسر قائلةً:

- لحظة وكيف عرفتي بالتفاصيل؟!. كل ما قاله والدي لنا، أن جدتي

أعطت عمي أغراض جدي الخاصة التي كانت معه في ليلته المشؤومة، ولم يقل كل هذه التفاصيل، فكيف علمتي بذلك؟!..

ابتسمت في ثقة وقالت:

- لأني أعرف جدتي جيداً، فإن كانت تلك اليد مع جدي فلابد أنها سبب وفاة جدتي بعد أن رأتها، وبما أنها أعطت الصندوق لعمي فلا أظنها ستضر ولدها لتخلص نفسها، لذا أعتقد أنها أعطته تلك الحاجيات ليتخلص منها بعد أن أوضحت الرعب الذي ألم بها.. وبما أني عرفه جدي فأنا واثقة بأنه تصرف كما قلت لك سابقاً...

طأطأت برأسي موافقة وعقبت قائلة:

- هذا صحيح لا بد وان اليد كانت مع جدي في غرفته من ضمن الأشياء التي أعطتها جدتي لعمي، لهذا انتقلت إليه وبعد وفاته رأتها عمتي (صفية)- والتي أعرف أنها من أكتشف جثة عمي- وبما أنه مات على أرض الحديقة الجرداء فهذا معناه أنه كان قبل وفاته بلحظات قصيرة يدفن تلك اليد.. ومن يدري فلربما الفضول دفع بعمتي لأن تنبش الأرض بعد أن لا حظت تغيرها بسبب عمي ووفاته فوقها، فحفرت التربة وصدمت، ثم ردمتها من جديد لتبدأ معها سلسلة الرعب، ثم جئت أنا بفضولي وغبائي لأستلم المهمة من بعدهم..

ثم استطردت ساخرة:

- حقاً.. يا له من إرث جميل..

- لا بأس عليك يا عزيزتي.. لاحظي أن جميعهم توفوا بعد فترة معقولة، فجدتي بعد ستة أشهر وعمك أربعة وعمتي سبعة.. إذاً هناك أمل أن تعيشي فترة كافية لنتدبر أمرك..

هتفت مذعورة:

- ماذاااا؟!.. أتقصدين أن أعيش في هذا الرعب عدة أشهر حتى نعرف الحل.. حينها سأصاب بالجنون كعمتي، قبل أن أموت وأرتاح من هذه المصائب التي تتساقط على رأسي..

ربتت (إيناس) على كتفي في حنو، وابتسامة تشجيع حاولت أن ترسمها على شفتيها وقالت:

- لا تخافي سنجد حلاً بإذن الله طوال الوقت.. أعدك أن مشكلتك ستنتهي خلال أيام.. كما أتمنى.. فنحن قد أمطنا جزءً من اللثام عن هذا اللغز ولم يبقى سوى النصف الأخر...

قلت في قنوط:

- لماذا أعادت عمتي دفنها لماذا لم تحرقها وتخلصنا؟...

قالت في بطء وهي تحاول إيجاد تفسير مقنع:

- لا أعتقد أنني لو كنت مكانها أن أفعل.. يبدو أنها خافت من الفضيحة والقيل والقال الذي سيمس سمعة عمي لو كلمت أحدً لاستشارته في أمر تلك اليد.. فنحن في قرية، والقرى كما تعلمين لا تسلية لهم سوى الكلام في الناس.. أما الأمر الأخر هو خوفها الذي شل تفكيرها فأعادت دفنها ظناً منها أن عمي فعل ذلك لأن هذا الأفضل.. ولو وجدناها لا أظن بأننا سنحرقها.. لا أعرف.. أخاف أن تكون يداً مسكونة فيثور علينا الجني الذي فيها.. لا أعتقد أننا سنفعل بها ذلك..

- وماذا نفعل بها إذاً؟!..

- لا أدري صدقيني لا أدري.. فلو عرفنا ماهيتها ومصدرها فربما حينها نعرف كيف؟!..

تساءلت مفكرة:

- ماهيتها ومصدرها.. نعم من أين جاء بها جدي..

حانت مني التفافة نحو كتب جدي الموضوعة على الطاولة الجانبية للسرير (كمود)، فبرقت عيناي حينها لأهتف بظفر قائلة:

- من مصر..

- من أين؟..

في عزم شديد قلت:

- من مصر.. أنسيت أنه عاش في مصر وكان يعشقها ويعشق الحضارة المصرية القديمة لدرجة انه اشترى آثاراً مصرية قديمة وأدخلها إلى هنا بطرق ملتوية لشدة ولعه بها.. والآن أخبريني هل رأيت شيئاً في بيت جدي أو بيت والدي من تلك الآثار؟..

أجابت مشدوهة:

- لا..

ابتسمت في ظفر وقلت:

- إذاً كانت الآثار مع جدك في غرفته الخاصة بالحديقة يوم وفاته وإن كانت تلك اليد مع حاجياته فالآثار القديمة معها.. وبما أنها آثار فرعونية فتلك اليد هي أثر فرعونيٌ أيضاً..

قالت مترددة:

- كيف استنتجتي أنها أثر فرعوني تبدو لي من وصفك أنها مرعبة...

قلت في نفاذ صبر:

- أووه.. فكري جيداً..محب للآثار ويد محنطة غريبة.. ومن أدرى بعلم التحنيط من الفراعنة يا عزيزتي؟.. وبما أن جدي يحب جمع الآثار فلابد أنها أغرته حتى لو كانت قبيحة، وإن شئت رأيي فالمجوهرات التي تزينها تخطف الأنفاس..

قالت (إيناس) معقبة:

- لو كنت مكان البائع لاحتفظت بالمجوهرات لنفسي فأنا أظنها أكبر قيمة من المال الذي أعطاه جدي له مهما كان قدره..

- آها.. يبدو أنك بدأت تقتنعين باستنتاجي.. أما السبب بيعها فلا أعرف.. هل هو خوف البائع من تلك اليد؟!. أم خوفاً من أن تكتشف الشرطة أمره؟!.. الله أعلم..

قالت (إيناس) وابتسامة رضا على شفتيها:

- وبما أنك الحفيدة التي تسكن في مصر فلا بد أن ذلك يساعد على حل المسألة..

قطبت حاجبي وقلت بحيرة كبيرة:

- نعم.. ولكن ماذا عن (سامر)؟.. إنه ابن عمي الذي يسكن معي في مصر هو الآخر..

قالت مفكرة:

- صحيح ولكن فرصة بقائك في هذا المكان والبحث عن حل لهذه المشكلة أطول من (سامر) المسكين، الذي يبقى مدة بسيطة ثم يرحل لأعماله...

قلت لها بعد أن أطلقت زفرة ارتياح لمعرفة جزء من القصة:

- المشكلة الآن هو فائدة سكني في مصر لا تعني سوى شيء واحد، وهو أن علي إعادتها.. فإلى أين أعيدها؟. بل وأين هي تلك اليد أصلاً؟!..

أمسكت (إيناس) رأسها بكلتا يديها وهي تقول بإعياء:

- أووه.. لا تسألي.. لقد تعب رأسي من كثر التفكير والاستنتاج.. ليس هذا التسامر الذي كنت آمله..

ضحكت في خفوت وقلت لها متفهمة:

- أقدر لك مجيئك حقاً.. فقد أنقذتني من كابوس فظيع، وإن بدا لي حقيقياً.. وتسامرك معي كانت له نتائج مذهلة.. أما الآن فالنوم هو أفضل علاجاً للتعب.. أنا أشعر بالتعب حقاً بعد هذه الليلة المضنية..

هتفت بي متهكمة:

- ماذا النوم؟. ستفعلين ذلك في غرفتي يا حبيبتي.. فلا نية لدي في مراقبتك كلما جاءك كابوس وأنت نائمة لوحدك.. هيا تحركي أكاد أسقط من التعب..

ضحكت ضحكة خافتة وأنا أرد عليها قائلة:

- السمع والطاعة لك يا مولاتي...

* * *

- لماذا تقتل اليد كل من تعامل معها؟!..

قالت ذلك (هلا) بعد أن شرحنا لها ما وصلنا إليه... كنا نجلس في غرفة المعيشة نشرب الشاي بعد الغداء الذي شاركتنا فيه (هلا).. قلت لها ساخرة:

- لا أدري.. ربما لديها بعض الخصوصية و تحترم نفسها كثيراً فلا تريد أن يراها أحد لشدة قبحها.. هاهاها..

فغرت (إيناس) فمها، وهي تنظر لي بدهشة قائلة:

- وهل الموقف الذي تعيشينه يحتمل المزاح؟.. من المفترض أن فرائصك ترتعد الآن، لأن الموت هو نصيبك إذا لم نجد حلاً...

إمتعق وجهي لكلامها وغزاه الشحوب.. ولكنها لم تبالي بي فاستطردت قائلة:

- فعلاً لماذا تصيب اليد من رآها بالموت؟. ليست هي من تفعل مستحيل، إنما الأطياف المرعبة التي طاردت (نوار) هي السبب ولكن لماذا؟.. لماذا تفعل هذا؟..

هتفت (هلا) بصوت واثق وعيناها تشعان ببريق الذكاء:

- لعنة الفراعنة..

في دهشة قالت (إيناس):

- عفواً..

قالت (هلا) من جديد وبثقة أكبر:

- قلت.. لعنة الفرااااعنة.. هل سمعت الآن..

شعرت بقبضة باردة تعتصر قلبي عندما سمعت كلماتها.. فقد سمعت عن هذا الموضوع من قبل، ولكني لا أعرف عنه الكثير..

قاطع خوفي وتأملاتي صوت (هلا) عندما أكملت قائلة:

- نعم أنا متأكدة من هذا.. ألم تقولن ان ذلك الشيء أثر فرعوني..

قالت (إيناس) بغباء:

- بلا.. ولكن ماذا تقصدين من لعنة الفراعنة، أنا لا أفهم شيئاً..

ابتسمت (هلا) فهي تعرف أن أختها لا تحب القراءة لذلك معلوماتها بالتأكيد ضحلة في هذا الموضوع.. لذا تنفست بعمق وقالت بلهجة العالم ببواطن الأمور:

- "سيذبح الموت بجناحيه كل من يجرؤ على إزعاج الفرعون"..

"أنا حامي مقبرة الفرعون الذي يصد اللصوص مستعين بلهيب الصحراء"..

هكذا جاء في تعويذة مقبرة الفرعون(توت عنخ آمون) التي قرأها العالم الإنجليزي (كارتر) فصورها بكاميراته ثم مسح التعويذة حتى لا يراها العمال فيخافون ولا يكملوا الحفر.. وكان له ذلك فتمت عملية اكتشاف مقبرة الحاكم الفرعوني والذي مات صغيراً في السن.. وكان في المقبرة كنوز رائعة

تخلب للبها الأنفاس، فقد اعتاد الفراعنة على دفن كل كنوزهم وممتلكاتهم العظيمة في مقابرهم حتى تنتقل معهم إلى العالم الآخر، هكذا كانت معتقداتهم فهم يؤمنون بالحياة بعد الموت، لذا كانوا يفعلون كما قلت سابقاً، بالإضافة لحرصهم الشديد على سلامة أجسادهم من أي عاهة أو نقصان فأدى ذلك إلى تحنيطهم للأجساد وتأمينهم لمقابرهم حتى لا يسطوا اللصوص على كنوزهم الأثيرة ويؤرقوا راحة الفرعون ويحرموه من الملذات التي سيأخذها معه للعالم الآخر.. وهكذا بنوا المصطبات كمقابر لهم، ثم تلتها الأهرمات التي كان أول من بناها المهندس والطبيب العبقري (إمحتب) للملك (زوسر) ثم تلاه الملك (سنفرو) ثم ملوك الأسرة الرابعة (خوفو) و(خفرع) و(منقرع) حتى تكون المقابر في هذا البناء الضخم أكثر أماناً، ولكن هذا لم يكن كافياً بالنسبة لهم فاستعانوا بأعظم الكهنة والسحرة ليضعوا التعويذات التي تحمي المقبرة من كل يدٍ عابثة.. أما الأسر الأخيرة فأصبحت تضع مقابرها في وادي الملوك لتكون محفورة داخل الصخور بطريقة يصعب العثور عليها...

ولكن اللعنة لم يعرف عنها العالم إلا عند اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون).. هنا بدأت سلسلة الغموض تجتاح وتحصد كل من شارك في ذلك الاكتشاف المشؤم، فبدأت باللورد الإنجليزي(كارنرفون) الممول الثري لهذه الرحلة، والذي شعر بارتفاع مفاجئ في درجة الحرارة، مع رجفة قوية حيرت الأطباء،

وفي منتصف الليل توفى هذا اللورد في القاهرة.. المثير للحيرة كلمات (كارنرفون) نفسها، فقد كان يصرخ قائلاً:

- النار.. النار في جسمي..

وعندما تملكه الهذيان كان يقول:

- إنني أرى أناساً يدحرجونني على رمال الصحراء ويعصرون النار في فمي..

ثم بعد ذلك وفي نفس وقت موته، انقطع تيار الكهرباء في الفندق وفي كل القاهرة.. وفي نفس الوقت في مدينة لندن استيقظ أهل اللورد على نباح كلبه وهو يعوي ويصرخ ثم يقفز إلى سرير اللورد ويسقط جثة هامدة..
وعندما أراد أهل البيت رؤية ما حدث، سقطت المنضدة الفخمة على قطتهم السوداء فماتت في الحال..

قاطعتها(إيناس) وهي تصرخ:

- ما هذه الخزعبلات؟.. لا بد أنها قصص مزيفة لغرض الشهرة..

ضحكت (هلا) غير مصدقة وقالت بتكشيرة:

- حقاً يا لجهلك.. إنها قصص مرفقة بشهادة الشهود وبعشرات الكتب لأكبر الكتاب الموثوق بهم وبمصداقيتهم.. ثم إن اللورد ليس الوحيد الذي حصل معه هذا بل الكثيرون غيره ولا يعقل أن تكون كل هذه مجرد صدف.. تماماً

كما أن وفاة جداي وعمي وزوجته ليس من الممكن أن تكون مجرد صدفة.. أليس كذلك؟..

طأطأت (إيناس) رأسها موافقة بذعر.. بينما بقيت أنا صامتة أبتلع ريقي والرعب قد حفر جذوره في وجهي ليصبح جزاءً لا يتجزأ مني... أكملت (هلا) حديثها قائلة بحزم:

- ثم تلاه كل من شاهد أو شارك في هذه الرحلة المشؤمة.. وكان هذا حال كل من يكتشف مقبرة فرعوني ما.. هل عرفتن الآن ما هي لعنة الفراعنة.. يقول بعض العلماء أنه ربما كان سبب الموت - الذي أسموه لعنة- مادة مشعة كـ(اليورانيوم) وربما هو عقار للهلوسة يصيب من يفتح تلك المقابر، وربما هي تعاويذ سحرية.. كل هذه احتمالات لم تثبت بعد، وبقيت لعنة الفراعنة لغز يتحاشى الجميع التعرض إليه.. ولكن بالنسبة لي فما تراه (نوار) يؤكد لي أن اللعنة ترتبط بالتعاويذ السحرية فهم عند اكتشاف المقابر الفرعونية يجدوا تعويذة تمنعهم، وتتحقق وعودها.. ولهذا ترى (نوار) أشياء غريبة ربما هم عفاريت وجن مكلفين بحماية اليد الفرعونية، ومن وضع تعويذتها كاهن عظيم كعادة كهنة الفراعنة.. والآن يا عزيزتي.. إن كانت هناك تعويذة لليد فأين باقي المومياء؟.. أم أن اليد وجدت وحدها؟!. وما تقوله تلك التعويذة لنعمل على أساسها؟..

صحت في هستيريا:

- لعنة الفراعنة.. أنا أصابتني لعنة الفراعنة؟.. سأموت إذاً.. سأموت.. مازلت صغيرة.. ما ذنبي أنا في هذا كله؟.. لست أنا من أحضرها.. لمجرد أني رأيتها مرة واحدة.. مرة واحدة.. أصبت بلعنة الفراعنة.. لا..لا.. ليس اسمها لعنة.. بل هي موت.. موت على يد عفاريت الفراعنة.. إنه موت يطاردني من قبل الميلاد.. ما ذنبي أنا؟.. ثم إنها مجرد يد.. وليست مومياء كاملة.. لطفك يا رب أتكون المومياء صاحبة اليد مدفونة هنا؟...

صرخت (إيناس) و (هلا).. في ذعر واستهجان للفكرة.. ولكني أكملت كلامي في هستيرية ويأس:

- لا سامح الله عمتي.. إنها تدفعني للموت.. ولأن أعاني كما عانت هي.. لا سامحها الله..

هنا أخذت أبكي في قهر وظلم.. فهتفت بي (إيناس) ناهرة:

- استغفري ربك يا فتاة.. الميت لا تجوز له إلا الرحمة.. لا تدعي عليها هكذا..

قلت ثائرة:

- أدعي لها بالرحمة.. وهل رحمتني هي عندما ساقتني من حيث لا أدري إلى المصير المر الذي واجهته كمن سبقها.. لماذا أنا بالذات؟!. ثم ماذا كان سيحدث لو بقيت مدفونة مكانها؟!.. أليس هذا أفضل من تعريضي لهذه المصيبة؟!.. ماذا سيحدث لابني (يوسف) من بعدي؟.. وزوجي سيترمل باكراً.. ألم ترحم ابنها وحفيدها.. ماذا استفادت هي من ذلك؟!.. لو أتت لي في المنام طالبة الصدقة على روحها ألم يكن هذا أفضل لها؟!..

قالت (هلا) في قلق:

- لا تظلمينها.. أنما هي أرادت تخليص الأسرة من هذه اللعنة.. أما أن تبقى مدفونة هناك!. لا أظن ذلك ينفع.. تخيلي الأطفال عندما يلعبون في الحديقة، ثم أرادوا التسلية بالتربة الوحيدة الجرداء في هذه الحديقة وخرجت لهم؟!. هل تحتملي فكرة أن تطارد اللعنة الصغار؟!.. إنها جاءت إليك لأخذ هذه اللعنة وإعادتها إلى مكانها الذي سلبت منه.. هذا هو الرأي الأرجح.. والآن لنبحث عن اليد.. والأهم من ذلك معرفة من أي قبر جاءت؟.. ولمن هي؟.. وما هي الكلمات المرفقة بالتعويذة الخاصة بها؟..

قلت في يأس من بين دموعي:

- أستغفر الله.. لقد فقدت أعصابي.. هذا قضائي وقدري.. وما تطلبين معرفته مستحيلا.. فحتى لو وجدنا تلك اليد.. كيف الإجابة عن كل أسئلتك تلك؟.. كيف؟!.. كيف؟!..

قالت (إيناس) بحزم:

- اليد سنبحث عنها مرة أخرى جيداً.. فلا يمكن أن تكون طارت.. أما الإجابة عن أسئلة (هلا) فلا يوجد سوى طريقة واحدة..

نظرنا لها في ترقب ولهفة.. فردت في حزم أشد قائلة:

- (سامر).. (سامر) هو الوحيد القادر على مساعدتنا..

* * *

- ماذا؟.. كل هذا حدث وأنا لا أدري؟!.. غير معقول..

هتف (سامر) بذلك عبر الهاتف المحمول، بعد أن أخبرته بالأيام السوداء التي مرت علي..

قلت له بأسف:

- نعم يا عزيزي.. كل هذا في أربعة أيام فقط، لذا أرجوك أنت الأمل الوحيد الآن...

رد بحيرة:

- أنا.. كيف؟..

قلت له بلهفة:

- أنا سأقول لك كيف؟..

وبكل ما تحمله أعماقي من ترقب ورجاء قلت له و يدي الممسكة بهاتفي المحمول ترتجف من شدة الانفعال:

- اسمعني جيداً.. لا بد أن أعرف صاحب تلك اليد.. أو بالأحرى مقبرته.. يجب أن أعرف كل هذا.. حتى أعيدها إلى مكانها وانتهي من هذه المأساة..

قال في دهشة كبيرة:

- كل هذا؟. ولكن كيف؟..

- أنت في مصر وبحكم عملك في الملحقية الثقافية فلديك أصحاب مثقفين جداً.. أرجوك يا حبيبي.. اسأل من له علم بأمور الفراعنة.. أصدقاؤك في المتحف المصري أو.. أو.. صحيح.. اسأل صديقك المصري.. ذلك العالم بالتاريخ والآثار.. آه..نعم رأفت.. ما رأيك أن تسأل الدكتور رأفت.. أفعل المستحيل.. استعين بكل معارفك هناك.. ولكن المهم أن أتخلص من هذا الكابوس، إن كنت لا تريد ان تفقدني.. أفعل ذلك من أجلي أرجوك..

هتف بلوعة:

- لا.. لا أريد أن أفقدك لا تقولي هذا.. ولكن قصتك غريبة يا عزيزتي..

صعقت عندما قال ذلك.. فهتفت في ذعر قائلة:

- ماذاااا؟!.. هل تقصد.. هل تقصد بأني أخرف؟!..

هتف مدافعاً عن نفسه:

- لا..لا.. أبداً يا حبيبتي.. أنا أثق بك.. ولكن لن يصدقني أحد في قصة تبدو خرافية..

قلت في صرامة وأنا أصر على أسناني:

- أتصدقني أنت أم لا؟..

صمت وكأنه يقلب الأمور في ذهنه ثم قال:

- نعم.. أظن بأنني أصدقك..

قلت له بجفاء:

- إذاً سيصدقك الدكتور رأفت وغيره.. فهم بالتأكيد قد سمعوا بمثل هذه الأمور الغريبة من قبل..

قال برقة شديدة ليكفر عن ذنبه لأنه جرح مشاعري:

- وماذا لو لم يعرف مكان القبر أحد؟.. بل ماذا سنفعل إن لم تكن فرعونية أصلاً؟..

تنهدت في هم شديد وقلت:

- حينها ستكون طامة.. ولكني أظنها فرعونية وأعتقد أن هناك من سيعرف مكانها.. فلا تقتل الأمل الوحيد في قلبي أرجوك.. بالإضافة إلا أن عندي معلومة ليست أكيدة ولكن ربما تفيد..

سأل بترقب:

- ما هي؟..

- قلت بتردد:

- أظن.. أظن اليد لامرأة..

- ومالذي يحملك على قول ذلك؟..

- أذكر جيداً أن هيكلها نحيف وأصابعها دقيقة وطويلة بالإضافة إلا أن الخواتم التي ترتديها رقيقة رغم فخامتها.. كل هذه الأشياء التي طبعت في ذهني جيداً تجعلني أعتقد بأنها لامرأة.. فيد الرجل تكون أغلظ ومجوهراتها غليظة مثلها..

قال بجدية:

- حسناً.. حسناً.. سأبحث و أبذل كل ما في وسعي.. لا تقلقلي إن الله رحيم يا حبيبتي.. أعتني بنفسك و بـ(يوسف) و لا تبقي لوحدك أبداً.. هل تعديني..

- نعم.. أعدك..

- إذاً انتظري مني اتصالاً قريباً بإذن الله..

- أووووه.. (سامر) أحبك..

رد بصوت متأثر:

- وأنا أحبك.. أحبك كثيراً..

أنهينا الاتصال وأنا أشعر بمشاعر التأثر والامتنان لأنه صدقني وسيساعدني.. متى يا إلهي أعود لأحضانه متى؟. حقاً إنه زوج محب ورائع...

ذهبت للحديقة حيث كانت تجلس (إيناس) و(هلا) وعند وصولي إليهم هتفت (إيناس) قائلةً:

- هاه.. سبع أم ضبع..

ضحكت وقلت بأمل:

- لا أستطيع ان أجزم.. ولكن لنقل سبع إن شاء الله..

جلست أخيراً وكان الإنهاك بادياً على وجهي..كانت الساعة وقتها الخامسة عصراً، وأنا لم أنعم بنوم هانئ أبداً، بعد حلم اليد العنكبوت.. عفواً أقصد اليد التي مشت على جسدي كالعنكبوت، مما أدى إلى ذهابي كما فعلت سابقاً لأنام في غرفة (إيناس) ويبدو أنني سأفعل هذا كل ليلة حتى ينتهي هذا الرعب..

المهم يا عزيزتي (خلود) كنت قد نمت وفي نفس الوقت لم انم.. كيف أصف هذا؟!. عينان مغمضتان تارة ثم مفتوحتان تارة أخرى، ومعالم الغرفة واضحة في لحظة ثم في لحظة أخرى أجد نفسي في حديقة مقفرة مع تلك اليد وهي ترقص على أصابعها.. تخيلي المنظر.. يد ترقص.. كل هذا أدى إلى عينين منتفختين حمراوين.. تثاءبت وأنا أسمع (هلا) تقول:

- لا أظنك ستموتين قريباً يا عزيزتي.. عندي إحساس قوي بأنك ستهرمين وسأراك عجوزاً بإذن الله..

حدقت فيها مشدوهة.. فهي لديها حس الدعابة في المكان والزمان الغير مناسبين.. إلا أني عقبت على قولها:

- لا تنسي أننا متقاربتين في السن لذا سنهرم سوياً.. وسأراك في سن الخرف، عجوز شمطاء إن شاء الله...

ضحكنا جميعاً وكان ذلك رائعاً بالفعل.. فأنا لم اضحك من قلبي منذ حصول الأحداث الغريبة معي...

قاطعنا صوت (هناء) الهاتف من عند باب المنزل المؤدي للحديقة:

- أمي.. خالتي(هلا) و(نوار).. عمتي (جميلة) بالباب تريد رؤيتكن.. هيا تعالوا..

هتفت (إيناس):

- آه.. (جميلة) لا بد من أنها أحضرت الأشياء التي طلبت منها شرائها.. لا أعرف إن كانت ستبقى أم لا؟.. هيا بسرعة لنرحب بها..

نهضت الاثنتان وأنا بقيت جالسة مكاني.. نظرت نحو (إيناس) متعجبة وقالت:

- ماذا ألن تنهضي معنا؟..

هززت كتفي في لا مبالاة وأنا أشعر بالضجر وكآبة شديدة:

- اذهبا أنتما الآن وقولا لها أنني سآتي بعد قليل، فإن كانت مستعجلة ورحلت فسيكون هذا من حسن حظي، فلا رغبة لدي في مقابلة أحد.. أما إن كانت ستبقى فسأراها بالتأكيد..

- ولكن؟..

قلت في عصبية:

- لا لكن في الموضوع.. لحظات وألحق بكم، إن لم تذهب..

قالت (هلا) ضجرة مني:

- تباً لك عيشي في حزنك للأبد.. ولكني أحذرك.. لا تتأخري.. هيا (إيناس) تأخرنا على المرأة.. ماذا ستقول عنا؟..

رحلتا داخل المنزل وبقيت أنا في الحديقة أجول بناظري في كل شيء فيها.. وأخذت الذكريات تتدفق في ذهني.. هناك عند كرم العنب رأيت العفريت الأسود، وهنا عند تلك الأشجار أمسكت بي النباتات المجنونة وكادت أن تقتلني، وعند الحديقة المقفرة كانت تلك اليد وخاتمها القرمزي يتوهج في وجهي، وعند مدخل غرفة السائق كانت الفتاة الصغيرة تبتسم لي ولـ(إيناس) ابتسامتها المرعبة الكريهة، الغريب أن أختي رأتها معي بينما باقي الأشياء لم يرها أحد سواي، أظن أنني كما توقعت سابقاً عندما قلت لـ(إيناس) أن الفتاة أرادت إخافتي أنا وصادف أن رأتها أختي معي..

آآآه..

أما الأشياء الأخرى ظهرت لي أولاً ثم عند قدوم أختي أو حتى كل عائلتي لم يرونها ربما لأنهم لم يحضروا لحظت ظهورها، أما الأيادي التي خرجت من التربة لتمسك قدمي فلا أعرف ربما انشغلوا عن ملاحظتها فلم يروها، حتى عندما التفتوا إلي.. لست متأكدة من أفكاري كلها مجرد اجتهاد ليست أكثر..

نعم كان حظي جيد عندما رأت (إيناس) تلك الفتاة الصغيرة حتى يزيد هذا من مصداقية قصتي.. نظرت صوب الباب التابع لغرفة السائق سابقاً، أصابني ذلك بالخوف لمجرد فكرة أن تظهر لي مرة ثانية.. ابتلعت ريقي وقررت اللحاق بأخوتي فهذا أسلم.. ولكني عندما هممت بالنهوض انتبهت فجأة لحقيقة مهمة غابت عن ذهني تماماً..

تلك الغرفة..

نعم تلك الغرفة..

غرفة السائق سابقاً..

إنها قريبة جداً من الحديقة المقفرة التي مات فوقها عمي.. وهي مهجورة منذ وفاة عمي رحمه الله..ونحن.. يا لغبائنا.. نحن لم نبحث فيها.. فقد ركزنا جهودنا على داخل المنزل وأهملنا الحديقة، لأننا دائماً نجلس فيها ونراها خالية من كل ما يلفت الانتباه.. والمزروعات التي نرويها بين الحين والآخر طبيعية تماماً ولا شيء فيها.. ولكن هذه الغرفة.. نعم.. نعم سأبحث في هذه الغرفة.. أخذت أنظر إليها من مكاني وقلبي يخفق بشدة..

اتجهت بخطوات مرتجفة وأنا أخشى أن لا أندم على قراري.. ولكن.. كانت هناك قوة عجيبة تجذبني، وإحساس قوي بأن سأجد ما ينفعني.. كان الرعب يفتفت عظامي وأنفاسي محبوسة في صدري وأنا أقترب أكثر وأكثر من تلك الغرفة..

وأسير نحوها وكأني مسلوبة الإرادة..

صعدت الدرجات التي تقودني نحو الباب..

هنا شعرت بقشعريرة تدغدغني فهنا كانت تقف تلك الجنية الصغيرة..

ابتلعت ريقي بصعوبة وأكملت مسيري..

وأخيراً وصلت للباب ففتحته ليصدر صوت صرير أي باب قديم يحترم نفسه.. كان الغبار يغطي المكان وقد صنع مع أشعة الشمس المتسللة في خجل سحابة خفيفة تجعل الرؤيا أمامي شاحبة جداً.. شعرت بشعر ساعدي ينتصب من شدة الخوف..

ولكنني كنت كمن نوم مغناطيسياً، فأكملت سيري نحو الداخل.. وعندما بدأت عيناي تعتاد الرؤيا في هذا المكان.. لمحت شيئاً ما.. مهلاً.. مهلاً.. ما هذا؟.. أمم.. أمم.. إنه.. إنه.. هنا هتفت غير مصدقة لما رأت عيناي قائلة:

- أووووه يا إلهي.. ماذا أرى؟!.

- هل هذا صندوق؟!..

* * *

هكذا أخذت أسأل نفسي في ذهول وأنا غير مصدقة لما ترى عيناي.. فوجود الصندوق يعني لي الكثير، فعمتي في المنام قالت لي:

- إنه صندوق..

صحيح.. الآن فقط تدوي كلماتها في رأسي.. يبدو أنه كان في خزانة (إيناس) قبل ان يصبح هنا.. بالإضافة لأن الصندوق هو لجدي الذي أورثه لعمي بالتأكيد، لأن هذا بيت عمي قبل أن يصبح بيتنا.. تقدمت نحو الصندوق بتوتر ولهفة وترقب.. كان مفتوحاً وأغراضه مبعثرة..

شعرت بالقلق والحيرة فجثوت على ركبتي بجواره وأخذت أتفحصه جيداً.. كان متوسط الحجم، و به بعض التحف الغريبة والبعض الأخر منها مبعثر على الأرض، يبدو أنها الآثار التي اشتراها جدي..

لم أعرف ماذا تعني تلك الآثار ماعدا واحداً كان يمثل الـ(جعران) وهو نوع من الخنافس يبني بيته باستخدام روث الأنعام، وقد كان مقدساً عند الفراعنة، حملته على راحت يدي فملأها بالكامل كان جميلاً جداً بلونه الذهبي، بصراحة لا ألوم جدي عندما اشتراه..

فجأة تخيلت أنه قدم من مقبرة هو الآخر ويحمل لعنة ما، هنا رميته في خوف و اشمئزاز مع إني أظنه مظلوماً من هذا الاتهام..

تساءلت في أعماقي عن السبب الذي يجعل عمي يضع صندوقاً ثميناً مثله في غرفة السائق مع العلم أنها معرضة للسرقة إن اقتحم الحديقة لص ما عن طريق تسلق سورها..

ولكني أعتقد الإجابة واضحة، وهي تأكد بأن ما وصلنا إليه صحيح.. فعمي المسكين أراد أن يتخلص من الصندوق ويبعده عن عينيه فأخذه إلى هنا، وهذا يدل أن تلك اليد اللعينة كانت موجودة فيه، ولكن هذا الإجراء لم يكفي ليبعد الخوف عنه، فحمل اليد ليدفنها في أقرب أرض ترابية من هذا المكان، وطبعاً كان ذلك هو الحديقة المقفرة، فاتجه لها بعد أن لف اليد في ورق بني، وعندما دفنها وشرع بتغطيتها بالطوب حتى لا يحفر المكان من بعده أحد ولو عن طريق صدفة، ولكن قبل أن ينتهي، جاءه أمر جعله يذعر لدرجة الموت..

شعرت بغصة في حلقي وأنا أتخيل ذلك العفريت وهو يخيف عمي.. طفرت دمعة حزن من عيني فمسحتها بظهر كفي وأكملت تصفح محتويات الصندوق، كان أيضاً يوجد به وعلى الأرض مجموعة كتب، فتذكرت قول والدي أن جدي كان يقرأ كثيراً بعد رجوعه من مصر حتى ساعات متأخرة من الليل على غير عادته في النوم باكراً..

قلت في نفسي أنها لا بد الكتب الأخيرة التي قرأها جدي، مددت يدي نحو الكتاب الأقرب فكان عنوانه(لعنة الفراعنة) للكاتب الألماني (فاندنبرج)

شعرت وكأن هذا الكتاب قد مر علي من قبل، ربما في مكتبنا أنا وزوجي بمصر، سبحان الله وأنا التي لم تقرأه..

أبعدت عني الكتاب لأرى الآخر وكان له نفس العنوان هنا شعرت بقلبي يغور في صدري، فقد اشترى جدي هذه الكتب وقرأها لأنه علم، لا أعرف كيف؟. أن ما أصابه بالخوف طوال الشهرين الذين أمضياهما هنا، هو بسب لعنة الفراعنة.. تصفحت عيناي بسرعة باقي عناوين الكتب لأتأكد من أن لها علاقة بلعنة الفراعنة، وكان كذلك.. هنا بيد ترتجف أخذت أتصفح أحد الكتب وكان عنوانه..

طبعاً كما أشرت سابقاً لعنة الفراعنة.. وكان للأديب المصري المعروف (أنيس منصور) كانت عيناي تقرآن الكلمات بشكل محموم، هذه هي قصة الرحلة التي اكتشفت مقبرة الفرعون (توت عنخ آمون) كانت القصة كما روتها (هلا) بالضبط ولكن مع تفاصيل أخرى.. ثم قرأت قصة أخرى يقول فيها (أنيس منصور) "هناك الحادثة المشهورة للعالم الإنجليزي (بول بريتون) الذي حبس نفسه في غرفة الملك خوفو ليلة كاملة..

وفي الصباح روى للعالم أنه رأى شبحاً.. وأنه رأى جنازة هائلة، وكان هو الميت.. وأن الذي رآه والذي سمعه والذي أحس به يشبه تماماً ما يشعر به الذين يتعاطون عقاقير الهلوسة.. وكادت أنفاسه تختنق حتى الموت.. فما هذا الذي أصابه! وما تفسيره!."

وبعينان مذهولتان أخذت أفتش عن حادثة أخرى فإذ بي أقرأ:

"أن الأثري المصري د.(علي الخولي) قد دخل دورة المياه فوجد العالم الكبير (ايمري) قد أصيب بالشلل ويصرخ وتمثال في يده.. ويسقط ميتاً.."

قصة أخرى عن الطبيب المشهور الألماني (بلهارس) الذي أكتشف البلهارسيا في مصر والذي توفى في ظروف عجيبة عن عمر لا يتعدى السابعة والثلاثين عاماً.. يقول (أنيس منصور) "اتجه الطبيب (بلهارس) إلى دراسة الجثث الفرعونية القديمة لتحليلها وقد اهتدى إلى نوع من الديدان المتكلسة والمتحجرة في معدة جثة من الأسرة العشرين.. ثم عاد بلهارس يتحقق من دودة هي مصدر هذا المرض التاريخي عند الفلاح المصري.."

قفزت عيناي عن الأسطر لأصل إلى ما لفت انتباهي "كما أنه لم ينسى ان يبعث بمئات الجثث الفرعونية إلى الجامعة التي تخرج فيها يوم احتفالها بالمئة الرابعة لإنشائها!. أما نهاية الشاب النابغة فهي الهذيان لمدة خمسة عشر يوماً انتهت بوفاته.. ولم يعرف الأطباء الذين حوله ماهو هذا المرض الذي أصابه!."

كانت الدموع تتساقط من عيني.. علماء كثيرون ومؤرخون لم تستطع عيناي أن تقرأ ما حدث لهم.. يا إلهي لم أكن أتصور بأن نهايتهم كانت بسبب لعنة الفراعنة. هنا لمحت اسم (شامبليون) وهو العالم النابغة الفرنسي

الذي ترجم حجر الرشيد الفرعوني وأماط اللثام عن هذا الاكتشاف العظيم الذي كان يضم ثلاث لغات وهي الهيروغليفية، واليونانية، والقبطية..

أخذت أقرأ وأنا أرتجف "سافر إلى مصر على رأس بعثة أثرية ليتحقق من هذا الاكتشاف العظيم الذي اهتدى إليه.. وعند عودته من مصر أصيب (شامبليون) بالشلل.. وبعد ذلك بالهذيان التام.. وبالإغماء الطويل ليموت وهو لم يكمل بعد، الثانية والأربعين"

ألقيت الكتاب من يدي في حركة غاضبة متوترة ولم تعد بي رغبة لقراءة المزيد، فأنا كلما قرأت سطراً شعرت بأني أقرأ مصيري.. مسكين يا جدي كيف كان شعوره عندما قرأ هذه القصص؟!.. لا بد أن حاله كان كحالي؟.. أعدت الكتب والتحف إلى الصندوق ثم أغلقته وأنا أشعر بالحيرة لعدم وجود اليد هنا، كان هذا المكان الوحيد الذي لم نبحث فيه، فإن لم تكن هنا أين ستكون إذاً؟!.. لا أظن بأنها قد عادت تحت الأرض فعندما أخرجتها كنت كمن يطلق صراح الأسد من قفصه ليمارس هوايته المفضلة، و تلك الهواية تؤدي إلى نهاية واحدة.. وهي الموت.. الموت الوشيك..

شعرت بالضيق فأردت أن أخرج لألحق بأخوتي فلا بد أن (جميلة) قد دخلت للمنزل لذا تأخرتا عن العودة إلى الحديقة.. كنت أمسح دموعي وأنا أتخيلهما حمراوين من كثرة البكاء نظرت صوب الصندوق وأنا جاثية على ركبتي أرثي لحالي حين، لمحت شيئاً فجأة...

أخذت أفرك عيناي لأتأكد مما أرى، ثم هززت رأسي من الصدمة والرعب..

ارتديت للوراء مصعوقة من شدة الرعب فتوكأت على مرفقي وأنا أرتجف وأصرخ في أعماقي الوجلة قائلة بصوت غير مسموع:

- يا إلهي الرحيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

هل هذا حقيقي؟!..

يا إلهي إنه حقيقي.. حقيقي...

* * *

الفصل الخامس

"يد الموت"

إنها اليد..

نعم اليد التي جلبت الموت لكل من رآها.. فهل ستجلبه لي أيضاً؟!.. نعم إنها يد الموت أراها أمامي فوق وسادة قديمة تقف على أصابعها.. لحظة.. لحظة.. يا رباه.. لم تعد يد واحدة.. هل أهذي؟!.. أنها عشرة أيدي على الأقل.. يبدو إن تلك اليد تعشق التكاثر.. يا ويلي..

إنها تسير على أصابعها وتتجه نحوي.. كلها.. كل الأيادي.. أردت أن أطلق لساقي العنان.. أردت الخروج من هذا المكان كما كنت سأفعل منذ لحظات.. ولكن قدماي الممدودتان أمامي قد تيبستا، وكأني أصبت بالشلل الذي أصاب أولئك العلماء المساكين، جف حلقي من الرعب وقلبي يكاد يقفز من صدري.. ربما هو حلم كما حدث معي البارحة؟..

أغمضت عيني بقوة وكلي رجاء أنني إذا فتحتهما يختفي كل شيء، فتحت عيناي فإذ بها اقتربت أكثر، يا الهي لست أحلم.. نعم ما أغباني فأنا لست نائمة منذ البداية.. يا رب أعطني القوة في ساقي، يا الهي..

كنت أذكر الله في قلبي وإن عجز لساني عن ذلك لثقله، وهي لا تزال تتقدم نحوي في بطء واثق.. كلها.. ولكن يدٌ واحدةٌ فقط توهجت خواتمها ، فتحت

عيناي في رعب شديد وذلك البريق ينعكس فيهما.. وفجأة اختفت كل الأيادي وبقيت واحدة فقط التي كانت على الوسادة تتقدم وجواهرها تلمع في عيناي، خصوصاً جوهرة الإصبع الأوسط القرمزية اللون والتي أخذت تتوهج في بريق قوي يفوق باقي الخواتم...

اقتربت.. اقتربت.. إنها تلامس أصابع قدمي المتجمدة بلا حراك.. هاهي الآن تسير فوقي..

كنت لا أزال متكأه على مرفقي، وحين خطر لي أن أستخدم يداي لأبعد تلك اليد المخيفة، كانت يداي قد تجمدت مكانها وحرارتي أخذت في الارتفاع وتلك اليد تواصل زحفها المميت فوقي، إنها فوق بطني أشعر بالفراغ فيه، يا الله إنها على صدري أشعر بالضيق، أووه إنها على رقبتي أشعر بالاختناق إنها.. إنها تخنقني تماماً كما حدث معي في الحلم، جحظت عيناي من الرعب الذي أفقدني عقلي.. أووه إنها تكتمل.. نعم يد الموت تكتمل فوق جسدي بشكل مخيف فقد اكتمل شكل ساعد بلون أسود ثم الكتفان كل هذا يحدث فوق جسمي، الآن الكتفان ثم وجه بلا ملامح، أسود كالغراب، له عينان مشقوقتان كالثعبان..

هل عرفته يا (خلود)؟!..

نعم إنه هو العفريت الأسود الذي يلاحقني دائماً، يبدو أنه حارس المومياء صاحبة اليد.. الآن أرى جسده يكتمل كله، ولكنه يتعداني بمتر ونصف فوق

الأرض- فطول هذا العفريت ثلاثة أمتار تقريباً- ورائحة كبريت قوية تنتشر في المكان.. هنا يا عزيزتي شعرت بقلبي سينفجر وبالنيران تشتعل في جميع مسام وخلايا جسمي، كان جلدي وكأنه سيحترق، جحظت عيناي من الذعر وعينا العفريت المشقوقتان طولياً تلمعان بوهج أحمر مميت وكأنه ثعبان (الأناكوندا) العملاق المخيف.. كنت أنتفض وأنا أشعر بدمي يغلي في عروقي.. يا إلهي سأموت.. سأموت..

وفجأة ألهمني الله أمراً.. إن كان حارس المقبرة من الجن والشياطين.. ألا يبعدهم ذكر الله.. كما أبعده من قبل؟.. أليس بذكر الله تطمئن القلوب؟..

وبقوة إيمانية عجيبة، جمدت قلبي وضبطت أعصابي وحاولت ان أحرك لساني رغماَ عنه، فدبت في داخلي طاقة عجيبة لأقول بصوت ثقيل ومتهدج جملة واحدةً فقط استطعت قولها وهي:

- بسم.. بسم الله.. بسم الله.. بسم الله الرحمن الرحيم..

لم يتأثر كثيراً ولكنه على الأقل أوقف ضغطه على رقبتي.. استوعبت وقتها لماذا لم يرحل؟.. كان ذلك لأني خائفة جداً بحيث قلتها بخوف كبير.. وهذا خطأ.. فلكي يرحل الجني كما أعرف، يجب أن يكون القلب عامراً بذكر الله، وأن لا يكون الشخص خائفاً جداً، لأن الجني يشعر بذبذبات خوفه التي تنطلق من جسمه.. هنا ضبطت أعصابي أكثر فلا وقت للخوف إنها حياتي

وعلي أن أحافظ عليها لأجل ابني وزوجي (سامر) وفي هذه اللحظة سمعت صوت (سامر) يدوي في أعماق تلافيف خلايا مخي الرمادية عندما قال لي:

- عديني أن لا تبقي وحدك أبدا.. عديني.. عديني.. عديني..

سالت الدموع من عيني وأنا أتذكر كيف أخليت بوعدي.. فشحنت طاقتي كلها لأصرخ بقلب ثابت وثقة كبيرة في الله سبحانه وتعالى قائلة:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

نظرة ذعر انعكست في عينيه.. في ذلك الوجه الكريه الذي لا يمتلك ملامح سوى تلك العينان المذعورتان.. أغمضت عيني بقوة وأنا أقرأ آية الكرسي، والمتعوذات بصوت مرتل مطمئن...

فجأة شعرت بانشراح في صدري فتشجعت وفتحت عيناي لأجده قد اختفي.. تنفست الصعداء ويبدو أنني أدخلت كل هواء الغرفة داخل رئتي.. حاولت تحريك جسدي فاستجاب لي أخيراً وإن كنت لا أزال أشعر ببعض التنميل في أطرافي وكأن الدماء قد تجمدت ثم عادت فيها..

سرت خارجة من تلك الغرفة الكريهة وأنا أترنح من الإعياء والصدمة لا تزال محفورة على وجهي..

أصبحت في الخارج أخيراً والحديقة الجرداء بجانبي مباشرة التفت نحوها ولكني حين فعلت شهقت بقوة عندما رأيت العفريت واقفاً أمامي ينتظرني..

يا الله يبدو أن قراءتي لآية الكرسي والمتعوذات أخرجته خارج الغرفة وليس خارج حياتي كلها.. لقد انتظرني اللعين خارج دائرة الذكر، ويبدو أنه سيبقى بانتظاري حتى تأتيه الفرصة السانحة لقتلي..

أردت العودة للداخل ولكنه كان أسرع مني إذ انقض على وعيناه الحمروان تغليان في غضب شديد وكأنها حمم تفور في فوهة بركان ثائر.. ارتديت مصعوقة ولكنه لم يرحمني إذ زمجر في وجهي بصوت كالفحيح ويداه الحقيقيتان طبعاً- فيد الموت اختفت تماماً- تهجم علي فأمسك عنقي بيده وشدني نحوه ووضع يده الأخرى على صدري في موضع قلبي بالضبط ليضغط عليه، فشعرت وكأنه يعتصر قلبي وبضيق تنفس في صدري..

شهقت في ألم وعيناي تجحظان، كان الألم فوق طاقة احتمالي فأنا أختنق وقلبي يهتز بين أضلعي بقبضة موت باردة.. سقطت جاثية على ركبتاي لشدة ضغطه علي، فأصبحت قامته الفارعة تميل نحوي، أحسست بمدى ضئالتي وأنا أشعر بالتراب يحك ركبتي، أدركت حينها أنني على أرض الحديقة الجرداء، لقد شدني نحوها وأسقطني فوقها وأنا لا أدري.. الآن فقط عرفت كيف كانت مشاعر عمي عندما مات..

ويبدو أن نهايتي قد دنت.. ولكني لن أستسلم.. حاولت قراءة آية الكرسي مرة أخرى ولكن هيهات فالألم أعجزني عن تحريك لساني وأنفاسي تخفت وتخفت.. انحدرت الدموع من عيني التين احترقتا من قوة لهيب عيني

العفريت، شعرت بالخدر في أطرافي فرأيت خيال ابني وعائلتي وأحبتي يطوف أمامي، هنا استجمعت كل قوتي.. لا.. لن أدعه يسلبني حياتي السعيدة بوجود من أحب، لأجلهم فقط.. لأجل صغيري لن أموت على يد شيطان مريد..

فاستجمعت قوتي التي خارت تماماً لأقول بصوت مبحوح يتحشرج:

- لا تقتلني.. سأعيدها.. أقسم.. أنني.. سأعيدها لصاحبها في المقبرة حيث كانت.. فقط. أريد اليد لأعيدها.. أعطني فرصة واحدة...أقسم..أقسم..أق...

لم أستطع إكمال كلامي لأن الأكسجين قد نفذ من صدري.. كنت سأموت ولكنه اختفى فجأة لأسقط على وجهي وأنا أستنشق الهواء بقوة وأسعل في ألم وكأني أصارع لبث الحياة في روحي..

كان قد اختفى ولم يعد له وجود.. نعم اختفي ليحل مكانه أصوات أقدام (هلا) و(إيناس) القادمتان نحوي وهما تضحكان، قبل أن تقع عيناهما علي، فيصرخان في جزع، ويركضان نحوي في وله...

* * *

كان وجهي أصفر شاحب يحاكي وجوه الموتى، وقد جف حلقي من شدة الخوف، وقبضة ذلك العفريت لا تزال آثارها على عنقي..

صرخت (إيناس) في جزع شديد:

- (نوار) يا حبيبتي.. مالذي حصل لك؟.. هل هو ذلك الرجل مرة أخرى؟..

قالت (هلا) والدموع تترقرق في عينيها:

- ما كان عليك التأخر، لقد أطالت (جميلة) البقاء وكنا ننتظرك، وكلما أردت أن آتي وأصطحبك، أنشغل بنقاش معها، كل هذا أدى لتأخرنا.. ولكنها الآن رحلت و.. و سامحينا كنا نضحك وأنت تعاني.. تباً لك لماذا لم تأتي معنا منذ البداية؟..

أخذت أبكي في حرقة وأنا أحكي لهم كل ما حصل في خوف هستيري... ربتت (إيناس) على كتفي وقالت:

- أظنه فهم كلامك وأعطاك فرصة لتعيدي تلك اليد، مما يدل على أن كل استنتاجاتنا سليمة.. وهذا مطمئن، أظنه لن يقتلك إلا إذا أخليت بوعدك، يبدو أنه وجد الشخص الذي فهم أخيراً الحل الأمثل، بعد أن فشلت عائلتنا في ذلك..

ابتسمت في مرارة شديدة وقلت في أسى:

- بعد ماذا؟. بعد أن كلفتهم حياتهم بسبب تلك اليد...

قالت (هلا) حاسمة النقاش:

- نصيحتي ألا تخطئ في الحديث عنها.. من يدري؟. فلربما ذلك العفريت يسترق السمع الآن..

انتفضت في رعب وأنا أتلفت حولي.. فاستطردت (هلا):

- لندخل الآن للداخل.. وسننتظر اتصال (سامر) لمعرفة مكان القبر..

قلت لها في حزن شديد:

- هذا صحيح.. ولكن المشكلة الآن هي أين تلك اليد؟.. وهل سيساعدني العفريت في الوصول إليها كما طلبت، لأنفذ ما وعدت به؟!..

ساعدتاني على النهوض وكانت الشمس قد شارفت على المغيب.. وفي الداخل بقينا ننتظر الاتصال من مصر بفارغ الصبر فالوضع لا يحتمل التأجيل...

في اليوم التالي رن هاتفي المحمول أخيراً، وعندما نظرت لشاشته وجدت رقم زوجي الحبيب، أجبت عليه في سرعة ولهفة شديدة:

- أهلاً.. ما الأخبار؟.

- وعليكم السلام..

- آه.. نعم.. السلام عليكم..

- وعليكم السلام..

- بسرعة يا (سامر) ما الأخبار أرجوك؟..

رد بقلق واضح:

- ماذا؟. هل جد عليك أمر آخر؟.. تبدين على غير ما يرام..

بإحباط أجبت:

- أووووه.. يا عزيزي..

حكيت له ما حصل باختصار شديد فلا أريد الإطالة عليه، وإذا انتهت هذه المشكلة سأحكي له كل شيء بالتفصيل.. طبعاً إذا بقيت على قيد الحياة..

قال بصوت عميق:

- اسمعيني جيداً يا عزيزتي.. تقولين أن كتب جدي تحكي عن لعنة الفراعنة، وهذا ما يحدث معك، لقد أصابتك لعنة الفراعنة.. آآآ.. كيف أصفها لك.. لا بد أنك قد قرأت عنها...

قلت له بلهجة خبيرة

- طبعاً.. طبعاً.. سمعت وقرأت ولمست أيضا...

قال بجدية كبيرة:

- اسمعني جيدا يا (نوار) لقد قابلت الدكتور (رأفت)... خبير آثار والتاريخ المصري القديم، وأخبرته كل شي.. وبحكم صداقتي القوية والقديمة معه،

فقد وعد بالتحفظ، على شرط أن نرجع كل ما أخذه جدي، إلى مصر موطن تلك الآثار، وأنا أؤيده في ذلك، والخبر السعيد أنه عرف الكثير عن تلك اليد، لذا سأحضر إلى (جده) غداً , ومنها بالطائرة إلى الباحة.. يجب أن نعود إلى مصر بسرعة لذا جهزي حقائبك أنت و (يوسف).. عندما أحضر سأخبرك بالتفاصيل...

أنهينا المكالمة وقلبي يرقص من الفرح، أخيراً سينتهي هذا الكابوس، وإن كان الفضول سينهشني لمعرفة القصة كاملة..

نمت مع طفلي (يوسف) في غرفة (إيناس)، وفي اليوم التالي جاء أخيراً اليوم الموعود.. كان يوم الثلاثاء ماطراً وجميلاً، ولكنه كئيباً بالنسبة لي، فقد شارفت رحلتي على الانتهاء.. فـ(سامر) سيصل مساءً، ثم غداً صباحاً سننطلق من الباحة إلى جده في رحلة بعد الظهر ثم إلى مصر في رحلة المساء.. ستكون رحلة شاقة ولكن لا وقت للراحة والاستجمام، فسلامتي على المحك..

لم أبقى مدة كافية في وطني كما كنت أتمنى، إن هذا الأمر يمزق قلبي حقاً، فغداً سأرحل عن أخوتي ووالدي وجميع أقاربي.. ولكن عزائي الوحيد أنني سأعود حتماً في عطلة الربيع ولكن إلى جده وليس إلى هذا البيت المخيف، يبدو أنني سأجد صعوبة في الدخول إليه مرة أخرى حتى أنسى هذه الأحداث المرة...

جاء (سامر) أخيراً، كان استقبالاً حاراً ورائعاً بحق، ألا كم اشتقت إليه، حتى ابني (يوسف) سعد جداً لرؤية والده..

وبعد أن رشف رشفة من كوب الشاي قال لي:

- قصة تلك اليد قصة غريبة ومحزنة يا عزيزتي...

هززت رأسي وأنا كلي أذان صاغية لمعرفة ما حيرني طوال الوقت..

أخذ (سامر) نفس عميق ثم قال لي:

- عزيزتي لا بد من أنك تعرفين الفراعنة وتاريخهم فأنت امرأة مثقفة، ولكن يبدو لي أن هناك جوانب لا تعرفيها وذلك لأن لكل إنسان ميول قراءة تختلف من شخص لآخر.. المهم أن التاريخ المصري القديم له ثلاث فترات أساسية وهي - المملكة القديمة، والمملكة الوسطى، والمملكة الحديثة- إلا أن أكثر الفترات ازدهارا كانت المملكة القديمة والتي امتدت حوالي ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد خلال حكم ست أسر حاكمة..

رشف رشفة أخرى من كوب الشاي ثم استطرد قائلاً:

- كان الفراعنة يؤمنون بالحياة بعد الموت، فقد كان الموت بالنسبة لهم أشبه بالنوم، ولكي يسعد المرء في حياته الأخرى عليه أن يأخذ كنوزه الثمينة معه بالإضافة لشرط مهم جداً وأساسي وهو اكتمال أعضاء الجسم وسلامته من كل عاهة ونقصان ليكون جديراً بالذهاب للحياة الأخرى، أما

إذا كان بالجسم عاهة ما فهو بذلك سيذهب للجحيم طبعاً وفق معتقداتهم، لذا حرصوا على متانة قبورهم ووضع التعاويذ السحرية لحماية كنوزهم وأجسادهم من السرقة.. أما لعنة الفراعنة....

أخذ يسرد علي ما عرفته أنا من قبل، ولقد كنت أناقشه وأحكي له بعض القصص فقد أصبحت لدي معلومات جيدة في هذا الموضوع..

بعد ذلك قال لي:

- بما أنك تعرفين عن لعنة الفراعنة والتي يجزم الدكتور رأفت أنها أصابتك، إليك الآن قصة تلك اليد.. يقول الدكتور (رأفت):

- إن صاحبة اليد أميرة فرعونية من الأسرة الحاكمة، ولكنها وقعت في غرام رجل فقير من عامة الشعب، وهذا طبعاً لا يناسب مقام ابنه الفرعون العظيم.. لذا عندما علم والدها الفرعون استشاط غضباً ومنع ابنته من رؤية ذلك الرجل.. ولكنها لم تعبأ بكلام والدها فقد كان حبها أكبر من كل الضغوط، لذا قررت الزواج بحبيبها الفقير..

وكانت هذه الطامة، فقد شعر والدها بطعنة قوية في جبروته وكبرياءه فغضب غضبة لم يغضب مثلها، هو الذي لم يخالف أحد أمره.. لذا قرر قرار قاسي جداً، فلتنعمي أيتها الأميرة بالسعادة مع حبيبك ولكن في الدنيا فقط، أما في الآخرة فلن تحصلي فيها على السعادة الأبدية، لأنك ستكونين

ناقصة غير لائقة، وهكذا قطع كف الأميرة من معصمها لتكون ناقصة وتذهب بعد موتها إلى الجحيم عقاباً على عصيانها لوالدها الحاكم[1]..

جنت الأميرة فهي لم تتوقع أن يقسو قلب والدها عليها هكذا، ولكنها لم تستسلم ولم ترضى أن يقرر والدها مصيرها بهذا الشكل التعسفي، لذا قررت أن تحنط يدها قبل أن تتحلل وتضيع منها، ولكي تكون جميلة ولائقة زينتها بالجواهر الثمينة، كل هذا حتى تأخذها معها إلى مقبرتها وآخرتها..

ولكنها خافت من اللصوص الذين إن سمعوا عن المجوهرات الثمينة التي زينت بها يدها يأتوا ويسرقوها، لذا وضعت مقبرتين للتمويه واحدة لها والأخرى مقبرة سرية خلف مقبرتها خصصت ليدها الغالية..

ثم استعانت بأعظم الكهنة ليحموا مقبرتها، ومقبرة يدها من كل من يعبث بها وكان لها هذا، خصوصاً بعد موت والدها الفرعون مما جعلها تستعين أيضاً بكهنة والدها لتقوي الحصانة أكثر..

ولكن يبدو أن اللصوص بعد مضي قرون عديدة قد استطاعوا الوصول لمقبرة اليد أولاً فسحرتهم جواهرها فسرقوها، ولكن الأهوال طاردتهم فباعوها على أول هاوي صادفوه وكان ذلك الهاوي جدي التعس.

---

[1] هذا الجزء من قصة الأميرة واقعي.. أما الباقي فمن خيال المؤلفة.. المرجع "أغرب من الخيال لراجي عنايت لعنة الفراعنة"..

صمت (سامر) أخيراً بعد أن أنهى روايته..

- كيف عرف الدكتور (رأفت) كل هذه التفاصيل؟!..

ضحك وقال لي:

- قصة الأميرة عرفها من وسع اطلاعه ومعرفته.. لا تنسي أنه خبير وعالم بتاريخ وآثار المصر القديمة، أما مكان سطو اللصوص فلقد عرف أن عملية سطو على مقبرة في وادي الملوك قد حدثت منذ بضع سنين ولكن صاحبة المقبرة سليمة، وبعد البحث عرفوا من هي وأدركوا أن ما سرق هو كفها فقط، والآن جئت أنا بعد سنين لأخبره بيد تخيف زوجتي..

أما كيف وصلت لجدك؟. فهذا بديهي لا يحتاج لكثير من الذكاء.. والآن هناك لعنة تطاردك من الفترة التي عاشتها الأميرة خلال حكم الفراعنة وهي ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، لذا يجب أن نعيد يدها إليها بسرعة..

ابتسمت في مرارة.. فهذا هو الرقم الذي أخبرتني به عمتي (صفية) في حلمي الأول، عندما أشارت للبلاط الأحمر وقالت:

- هنا يوجد ألف وخمسمائة...

طأطأ (سامر) رأسه وكأنه قد قرأ أفكاري إذ قال لي:

- نعم هذا ما قصدته أمي (رحمها الله) من ذكر ذلك الرقم..

كنت سعيدة لمعرفة الدكتور رأفت مكان اليد ولكنني شعرت بالضيق لأنني سأفارق عائلتي بسبب يد الموت، والأهم من ذلك هو أين نجدها؟!..

* * *

في الطائرة المتجهة إلى مصر كانت دموعي لا تزال تنهمر من عيني في غزارة، منذ أن خرجت من قريتي الحبيبة وحتى الآن.. بكاء متواصل لا يقطعه سوى لحظات بسيطة لتنهمر الدموع من جديد، وكيف لا؟!.. وأنا فارقت عائلتي رغماً عني..

كان الحنين يؤلمني منذ الآن فما هو حالي بعد فترة أطول.. يا الله شهر واحد فقط الذي بقيت فيه معهم وبالرغم من اللحظات الجميلة، فإن الأحداث المرعبة شوهت هذه الذكريات واللحظات الدافئة إلى الأبد.. كان (سامر) المسكين يهدئ من روعي طوال الوقت قاطعاً العهود والوعود بجعلي أزورهم قريباً، وقد وفى بوعده فيما بعد..

نظرت من النافذة لأودع معالم (جده) مدينتي الغالية والحبيبة وبعد أن اختفت في الأفق البعيد، أخذت الذكريات تسبح أمامي لتصور لي آخر اللحظات التي أمضيتها في قريتي الغالية، أذكر جيداً صدمة والدي عندما قدم (سامر) لأخذي معه، ولكن زوجي برر ذلك بوجود وظيفة شاغرة لي في الجامعة وعلي أن أجرب حظي فيها..

اتجهت مع زوجي لغرفة السائق وجمعت الآثار ثم أعدت الصندوق في غرفة (إيناس) التي كانت في السابق غرفة عمي.. طبعاً لم تكن اليد في غرفة السائق.. كنت قلقة لأنني مسافرة في الغد واليد لم أجدها بعد..

قلت لزوجي بتوتر ونحن نسير نحو غرفتنا:

- ماذا لو لم نجد تلك اليد؟..

رد علي بقلق:

- لا أدري.. صدقيني لا أدري..

فتحت باب الغرفة لندخل.. هنا صعقت مما أرى أمامي.. فقد كانت يد الموت فوق سرير نومنا ولم تكن واقفة على أصابعها كأخر مرة رأيتها فيها، بل هي ملقاة على السرير في استكانة وبراءة.. نظرت نحو زوجي نظرة فهمها، فقال ووجهه يختلج توتراً من رؤيته لليد:

- المشاهدة غير الكلام.. يبدو أن عفريتك يؤيد فكرة إعادتها...

حمل اليد في منديل باشمئزاز ثم لفها في ورق متين ووضعها في حقيبته.. أعادني إلى أرض الواقع صوت (سامر) الهامس لي:

- هل كل شيء على ما يرام تبدين شاردة؟..

ابتسمت في رقة وقلت له:

- طالما أنك معي.. فأنا مرتاحة ومطمئنة..

أعاد نظره للجريدة التي بين يديه.. هنا لمحته.. نعم لمحت العفريت حارس اليد الملعونة، يجلس كأي مسافر على أحد المقاعد، على نفس الصف الذي أجلس فيه.. شهقت في ذعر وأنا أشيح بوجهي عنه وأنا لأصدق ما أرى.. هل هذا بتأثير الأيام الماضية أم انه حقيقة فعلاً؟!. التفت نحوه مرة أخرى

فوجدته يرمقني بنظرات مخيفة جداً أرسلت ألاف السكاكين تقطع أوصالي.. أشحت مرة أخرى بوجهي وأنا أرتجف من الرعب، لكزت (سامر) بمرفقي فانتبه إلي فأشرت برأسي نحو العفريت وأنا متأكدة بأنه لن يراه، ولكنه عندما التفت حيث أشرت رآه.. نعم رآه مما جعله يفتح عيناه في دهشة حقيقية حتى كادت أن تخرج من محجريهما، وفجأة اختفى العفريت الأسود...

نظر نحوي مصعوقاً وقال بصوت مرتجف:

- هل.. هل هذا العفريت الذي حكيت لي عنه؟!..

ابتلعت ريقي بعد أن لاحظت أن لا أحد من الركاب قد لا حظه ما عداي و (سامر).. ثم قلت مذعورة:

- نعم هو..

نظر نحوي بشفقة وقال:

- يا حبيبتي.. إنه مرعب جداً.. لا ألومك إذا خفت منه.. إنه حقاً مخيف...

رديت عليه بدهشة قائلة:

- ولكن.. لا أفهم.. كيف استطعت رؤيته بينما البقية لا؟!..

قال بصوت متوتر:

- لا أعرف.. ولكن يبدو أنه جاء ليطمئن على وصول اليد بسلام.. وأعتقد أنه جعلني أراه ليزرع الرعب في قلبي فأقوم بعملي كاملاً..

تنهدت في حرقة وأنا أتمنى من كل قلبي أن يمر كل شيء على خير وجه...

كان زوجي قد اتفق مع صديق له في مطار جده وأخر في مصر لتمر الحقيبة من التفتيش والجمرك مرور الكرام، وهذا ما حصل لنا...

وفي المطار استقبلنا د (رأفت) وبعد السلام انطلقنا معه في سيارته نحو منطقة (وادي الملوك) والتي تنتشر فيها مقابر الفراعنة المحفورة في الصخور..

قال د (رأفت) في لهجة اعتذار:

- أنا متأسف إن لم أجعل لكم فرصة للراحة، فطالما اللعنة تطاردك فهذا يعني أن لا وقت لدينا نضيعه..

أخبره (سامر) عن أخر المستجدات، بينما كنت أغفو من حين لأخر طوال الوقت.. وفي الطريق الصحراوي الذي انتشرت عليه خيوط الشمس الحمراء المستعدة للغروب، كان حارس اليد يظهر ويختفي بطريقة مخيفة على طول الطريق، حتى وصلنا إلى وادي الملوك.. نزلت من السيارة لأخبر (سامر) بالعفريت وإن كان شاهده ولكنه لم يلاحظه.. شعرت بخيبة الأمل، ولكني وجهت فكري للخلاص من اليد الملعونة أخيراً..

مشينا يقودنا د (رأفت) في طريق لا يضيئه سوى مصابيحنا التي أعطانا إياها الدكتور، فقد غلفت الظلمة المكان بوشاح أسود سميك، لتزيد الجو رهبة فترسل رجفتها في عظامي..

وصلنا خلف تل صخري صغير، كان يوجد رجلين استأجرهم من قبل وكانا في انتظارنا، نظر نحونا الدكتور وقال:

- القبر موجوداً هنا في داخل هذا التل، سنعيد حفر الفتحة التي ردمت من قبل، والتي تبدو واضحة عند هذا الطرف..

أشار بيده نحو طرف التل فبدا يختلف عن الباقي بتعرجاته..

بدا الحفر وأنا أشعر برجفة غريبة، هل كانت تلك اليد تستكين هنا حتى أزعجها اللصوص؟. وهل خلف هذه المقبرة توجد مقبرة الأميرة التي قطعت يدها بسبب حبها القوي لرجل فقير؟..

وفجأة لمحت حركة بعيدة نسبياً في الظلام، حاولت أن أسبر أغوار الظلام بمصباحي فرأيته.. نعم دائماً هو.. يقف يراقب عملية الحفر.. هرعت فزعة لألتصق بزوجي وأنا أشير إلي حيث يقف العفريت، وجه ضوء المصباح فرآه بدوره، ابتلع ريقه وهو يلكز الدكتور (رأفت) ويشير نحو العفريت، نظر نحوه الدكتور فشهق مذعوراً والتفت نحو الرجلين يصرخ بهما بصوت تهتز أوتاره ذعراً:

- بسرعة يا رجال.. بسرعة لا وقت لدينا..

ثم التفت نحوي وقال بتوتر:

- يبدو أنه ظهر يهددنا بأن نسرع ونتقن عملنا، إنه لا يرحم أبداً.. وشكله.. شكله مخيف...

هنا سمعنا أحد الرجال والذي كان يتصبب عرقاً يهتف قائلاً:

- لقد فتحت..

قال لي الدكتور بلهفة شديدة:

- هيا أسرعي أحضري اليد..

ناولني (سامر) الكيس الذي به اليد.. فأخذته وأنا أرتجف واتجه نحو المقبرة، وعند مدخلها شعرت بالضيق والخوف.. نظرت بذعر نحو (سامر) فابتسم لي يؤازرني وهو يضيء لي المقبرة مع الدكتور..

وبساقين مرتجفتين لينتين كعيدان المعكرونة المسلوقة، دخلت المقبرة ومن ورائي زوجي وصديقه.. كان الجو خانقاً في الداخل ورائحة العطن تكتم الأنفاس، ومع إضاءة المصباح الشاحبة ميزت تابوتاً صغيراً مفتوح.. نظرت للدكتور فقال لي:

- هيا ضعيه هنا بسرعة..

ابتلعت ريقي وأنا أدرك أن لا أحد يجب أن يضعها في مكانها سواي، لأنني أنا من أصيب بالعنة وأنا التي وعدت العفريت بإرجاعها.. وضعت اليد في

التابوت فتوهجت للحظة ثم خبا بريقها أغلقت التابوت عليها وأنا لا أرغب أن أراها مرة أخرى أبداً.. هممنا بالخروج فرأيت حفرة صغيرة على الجدار أمسكت ذراع (سامر) لينتبه لها، فوقف ينظر نحو الحفرة وكذلك فعل الدكتور الذي اقترب منها، وأخذ يتأمل على ضوء المصباح قطعة من المعدن النحاسي بحجم الكف.. ابتسم وقال:

- هذه التعويذة، أنظرا لهذا الرسم.. اقتربنا أكثر فرأينا رسماً لرجل مهيب وكتابة هيروغليفية تحتها..

قال الدكتور (رأفت) بصوت ثقيل:

- هذا الرسم يمثل(أوزوريس) آلة الموت عند الفراعنة.. هذه الكتابة تحمل التعويذة الخاصة باليد فقط دعوني أترجم محتوياتها لكم " يا من تجرأت على غزو الظلام.. وبرقت الجوهرة في عينيك.. سأطفئ نور حياتك.. أنا حارس الأميرة.. سأحمي كمالها بقوة لهيب النار.. وبقبضة آلهة الموت.."

نعم لقد برقت الجوهرة في عيني كما فعلت مع عائلتي.. ومن ثم طاردنا حارس الأميرة باثاً الرعب، وبعد ذلك النار التي غزت جسمي بحرارة شديدة وأنا في الحديقة والعفريت ماسكاً بي، ثم بالموت الذي ذاقته أسرتي من قبل، وأنا كدت حين ضغط على صدري، لولا أن أراد الله لي عمراً جديداً فسلمني منه..

أشار الدكتور نحو يسار المقبرة وقال:

- يبدو أنه توجد غرفة صغيرة هنا، وأعتقد أن بها الجرة التي تحمل أحشاء الأميرة.. أما هناك في آخر المقبرة يبدو لي مكاناً واسعاً أظنه قبر الأميرة أما مدخله فهو من مكان أخر لأن هذه المقبرة الصغيرة لا باب لها حتى لا أحد يدخل عند يد الأميرة الغالية.. ولكن اللصوص حفروا صدفة فوصلوا هنا بدلاً من الوصول إلى الكنوز المرجوة.. والآن وقد أنهينا عملنا فلنخرج من هنا..

أيدت فكرة الخروج بشدة فهذا أخر مكان أرغب في البقاء فيه.. خرجنا أخيراً من ذلك المكان المخيف، وحين أردت أن أملأ رئتي بالهواء النقي انسل بسرعة البرق العفريت الأسود المهيب من بيننا ليدخل إلى المقبرة قبل ردمها..
أصابتنا حركته المفاجأة بالذعر خصوصاً الرجلين الذين أخذا يصرخان ويذكران الله في هلع.. هدأهم الدكتور في عجل وهو يقول:

- اردموا الحفرة بالتراب بسرعة.. هيا..

أخذا العاملين يغلقان المقبرة في ذعر شديد.. قال د(رأفت) وابتسامة ارتياح بدأت تداعب شفتيه:

- أعتقد بأننا أحسنا صنعا، فالعفريت قد انضم إلى يد الأميرة في بيته الأصلي.. حمداً لله أظن يا سيدة (نوار) أنك قد تخلصتي من لعنة الفراعنة أخيراً..

طفرت دموع السعادة من عيني وأنا أنظر لعملية الردم التي تغطي للأبد يد الموت والعفريت العملاق.. كان (سامر) يشكر صديقه العالم الطيب في حرارة وهو يقول:

- حقاً لا أعرف كيف أشكرك.. لقد رأيناه جميعاً وعرفنا مدى حرصه على تلك اليد.. ولو أنك لم تساعدنا لكانت زوجتي الآن...

قاطعة الدكتور قائلاً بتواضع:

- لا.. لا يا رجل لا تقل ذلك فأنت كأخي وأعز.. وزوجتك كأختي الصغرى.. ويسعدني أن أكون عوناً لكم في أي وقت...

تقدمت منه لأشكره بدوري.. ولكنه نظر لي وقال وابتسامة لؤم على شفتيه:

- باقي الآثار لو سمحتي...

هنا تذكرت باقي الآثار والتي كنت أحملها في حقيبة على كتفي.. فقدمتها له وأنا أقول بحرج:

- آآآه.. بالطبع.. إنها لكم.. وأنا آسفة لنسياني...

- لا بأس.. لا بأس.. شكراً لإعادتها.. والآن سأضعها أنا بدوري في مكانها المناسب...

* * *

وهكذا يا عزيزتي (خلود) عدت لمنزلي الحبيب وأنا أحمل (يوسف) الذي استغرق نائماً في السيارة تحرسه خادمتي طوال رحلتنا المرعبة.. وهنا فقط شعرت بالراحة والأمان..

كنت دائماً إذا رأيت فلماً مرعباً أتخيل اللحظة التي تعود فيها البطلة لبيتها بعد أن ينتهي الرعب، لتأخذ حماماً دافئاً وتنعم بالنوم والراحة والأمان أخيراً..

الآن فقط شعرت برغبة شديدة في أن أفعل كما كنت أتخيل للبطلة، فما حدث معي كان مرعباً جداً..

لذا أخذت دشاً دافئاً ونعمت لأول مرة منذ أن طاردتني لعنة يد الموت، بنوم مريح وهانئ لا يتخلله سوى لحظات أحلم فيها بعملية دفن تلك اليد، وأنا أضحك فرحة لخلاصي..

والآن يا حبيبتي اعذريني على رسالتي الطويلة والمرعبة والتي لا أريد أن تقض مضجعك، وإن كنت أظن أنني سأحلم ثانية بيد الموت لأنني كتبت لك عنها، وأعدت تفاصيل حكايتي معها في ذهني..

ولكن لا بأس، فأن يكون وجودها في حلمي بسبب عقلي الباطن، خير من وجودها لأنها تطاردني فعلاً...

أما الآن لن أقول لك وداعاً..

بل إلى اللقاء مع رسالة أخرى..

ولكنها لن تحمل أي لعنة وأي رعب، بل ستكون رسالة محملة بالحب وبالأشواق التي أكنها لك دائماً وأبداً...

صديقتك المخلصة (نوار أحمد)

حرر يوم السبت الموافق:

(١٤٢٦/١١/٢٧ هجرياً)...

النهايــة

* * *

صدر أيضاً للمؤلفة نادية:

روايات عوالم

عوالم الرعب بين يديك

- لا أحد يفسد متعتي.
- وبين يديك : موت قبل المبلاد

* * *

روايات توليب

فيها تجوب عالم الحب بكل أسراره

صدر من روايات توليب الرومانسية حتى الآن:

- أزمة عروس
- ضحايا الحب

* * *

مغامرات بيزارو وقراصنة البحر

تكشف ألغاز عالم البحار

صدر من مغامرات بيزارو وقراصنة البحر حتى الآن:

مغامرة وأسطورة ج١

القراصنة والكنز ج٢

البحث عن القرصان جاك بونز ج٣

البحار الغامض ج٤

عودة القراصنة ج ٥

القتال الدامي ج٦

المؤلفة في سطور

مؤلفة وروائية، وباحثة ومدربة وشاعرة، خبيرة فراسة وفلك.

حاصلة على ماجستير إدارة تربوية بامتياز مع مرتبة الشرف.

حاصلة على الدبلوم التربوي العام بامتياز مع مرتبة الشرف.

خريجة بكالوريوس علم المكتبات وعلم المعلومات بامتياز مع مرتبة الشرف، معلمة سابقاً.

لها في المكتبات ثلاث سلاسل أدبية وهي: روايات توليب الرومانسية، روايات عوالم المرعبة، وسلسلة مغامرات بيزارو وقراصنة البحر.

تعتبر الكاتبة أول من كتب لفئة المراهقين والأطفال الناشئة في المملكة العربية السعودية بحسب زارة الثقافة والإعلام السعودية، وأول من كتب سلسلة مغامرات عربية عن قراصنة البحر وذلك من خلال سلسة (بيزارو وقراصنة البحر) والتي وصلت للقائمة القصيرة في جائزة اتصالات الإمارات، وأصبحت السلسلة مرفقة لمنهج اللغة العربية في مدارس ابتدائية مختارة من دولة الامارات العربية المتحدة ولبنان.

كما أن للمؤلفة كتابات ودراسات ثقافية بحثية في مجال الفراسة، والتاريخ، وسلسلة من عاشوا قبلنا المتخصصة في تراجم مشاهير الأعلام.

وتكتب أيضاً في مجال المسرح، والقصص القصيرة والشعر والمقالة وغيرها من فنون الأدب.

تقوم المؤلفة نادية بعقد دورات تدريبية في علم الفراسة وتحليل الشخصيات، والتأليف، كما وتقوم بتحليل الشخصيات بعلم الفراسة والفلك للمشاهير ولكافة الناس.

كاتبة مقالات سابقاً في صَحِيفَة تبوك الحدث الإلكترونية.

لها أعمال للأطفال شعر وإنشاد وقصص ودبلاج على قناة عشاق الزمن الجميل.

https://www.youtube.com/channel/UCoMB- F-TU7Cp4mrU- - zsNew

للتواصل مع المؤلفة

عن طريق مدونتها الإلكترونية عالم نادية:

http://nadiahsworld.blogspot.com

وسناب شات ***snapchat: authornadiah***

وصفحة الفيس بوك ***Facebook: authornadiah***

وحساب التويتر ***Twitter: @NadiahAlshehri***

والإنستقرام ***Instagram: authornadiah***

وقناة اليوتيوب ***youtube: Writer Nadiah Alshehri***

وللتواصل مع المؤلفة لتحليل الشخصيات بعلم الفراسة والفلك عن طريق

الواتس أب رسائل فقط WhatsApp

+966554767576